

جمهورية العراق
وزارة التربية
المديرية العامة للمناهج

القرآن الكريم والتربية الإسلامية للسف السادس الإعدادي

تأليف
لجنة متخصصة في وزارة التربية

المشرف العلمي على الطبع: د. احسان عبد الامير احمد

المشرف الفني على الطبع: صلاح سعد محسن

استنادا الى القانون يوزع مجاناً ويمنع بيعه وتداوله في الاسواق

التصميم:

صلاح سعد محسن

الموقع والصفحة الرسمية للمديرية العامة للمناهج

www.manahj.edu.iq

manahjb@yahoo.com

Info@manahj.edu.iq



f manahjb

manahj



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، ثم الحمد لله ربّ العالمين الذي أنار قلوب عباده المتقين بنور كتابه المبين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين . نبينا الأمين محمد الذي أرسله الله هادياً ومبشراً ونذيراً وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين أما بعد : فلا يخفى على مدرسي التربية الإسلامية ومدرساتها ، ما لدينا الإسلامي القويم ، الذي أنهض شعوباً ، وشيّد حضارة الأمة ، من أثر كبير في حياة الفرد والمجتمع . فهو الدعامة الروحية التي يقوم عليها تقدمهما وسعادتهما وهو الأساس والركن الركين الذي يُعتمد عليه للنهوض بالحياة في تفاصيلها ومفاصلها كافة ولأن مادة التربية الإسلامية هي السبيل الأمثل لترسيخ أركان هذا الدين العظيم وقيمه السامية من خلال العملية التربوية، فقد سعت وزارة التربية إلى الاعتناء بالتربية الإسلامية مادة وكتاباً، لجعلها أيسر تناولاً، وأقل تعقيداً، وأكثر قبولاً ونفعاً، إذ نضع بين أيديكم كتب التربية الإسلامية للمرحلة الإعدادية في حلّة جديدة فيها من الإغناء، والإثراء والتيسير ما يتناسب مع احتياجات طلبتنا الأعزاء وميولهم ويرتبط بواقع الحياة.

فقد تم دمج مادتي القرآن الكريم والتربية الإسلامية، في كتاب واحد مُيسر في خمس وحدات ضمت كل وحدة منها مباحث رئيسة كان في الرأس منها التبارك بالقرآن الكريم الذي تمّ الاعتناء التام بانتقاء نصوص شريفة منه مناسبة للمرحلة العمرية ثم الإيتاء بمعاني الكلمات ، فالتفسير العام ، فملخص لأهم مايرشد إليه النص ، فضلاً عن المناقشة . وقد أعقب ذلك دروس في الحديث النبوي الشريف ، وقصص من القرآن الكريم ، والأبحاث ، ثم التهذيب ، وقد أكدت المحاور جميعاً الأسس القويمة لبناء الشخصية الإسلامية السوية الملتزمة بمبادئ الإسلام العظيم وقيمه، البعيدة عن روح التطرف المقيت .

وإننا نرجو إخواننا وأخواتنا مدرسي المادة إغناء مباحث كتب التربية الإسلامية بالتوضيح والتعليق وضرب الأمثلة من حياتنا وواقعنا قدر مايتطلب الأمر ، مع ضرورة الالتزام بإضفاء الهيبة والوقار اللذين يتناسبان ومكانة التربية الإسلامية، وشرف الغاية المرجوة منها . ونختتم بالإشارة إلى أننا لاندعي الكمال بعملنا هذا، فهو لله مالك الملك العظيم ولذلك نسعد بملاحظاتكم وآرائكم للارتقاء به . وندعو من لا ربّ غيره ولاخير إلا خيره أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، فهو نعم المولى، ونعم النصير .

اللجنة

من احكام التلاوة

من أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة : حرف خال من الحركة، يقع في وسط الكلمة ، أو في آخرها يلفظ ساكناً في الوقف والوصل وتكون في الأفعال والأسماء والحروف .
مثال: عَنْهُمْ ، مِّنْ ، أَنْعَمْتَ ، أَنْفُسُهُمْ ، الْآنَهَارُ .

التنوين :

هو النطق بالحركة المضعفة نوناً ساكنة (ْ ، َ ، ُ) فهو نون ساكنة زائدة مسبوقة بحركة ، تلحق آخر الاسم ، تلفظ ولا تكتب ، وينطق بها في حالة الوصل وتسقط عند الوقف ، وعلامتها ، الضمتان ، الفتحتان ، الكسرتان .

أمثلة: لفظ التنوين في حالة الوصل :

كِتَابٌ ← نُّ — كِتَابُنْ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ ق: ٤
عَلِيمًا ← نُّ — عَلِيمُنْ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ الإنسان: ٣٠
نُوحٍ ← نُّ — نُوحِنْ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ ﴾ هود: ٣٦

أمثلة: لفظ التنوين في حالة الوقف :

كِتَابٌ — كِتَابٌ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ الرعد: ٣٨ .
عَلِيمًا — عَلِيمًا ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ النساء: ٧٠ .
نُوحٍ — نُوحٌ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ الإسراء: ٣ .
لِلنُّونِ السَّاكِنَةِ وَالتَّنْوِينِ أَرْبَعَةُ أَحْكَامٍ هِيَ :

أولاً - الإظهار :

هو إخراج النون الساكنة والتنوين من مخرجهما من غير (غنة^(١)) فيقرعه اللسان ، إذا جاء بعدهما أحد حروف الحلق الستة : (ء.هـ.ع.ح.غ.خ) المجموعة في أوائل كلمات العبارة الآتية : (أخي هاك علما حازه غير خاسر) ويقع الإظهار في كلمة واحدة أو في كلمتين .

أمثلة : النون الساكنة /

ينأون - منهم - من عمل - وأنحر - فسينغصون - من خير .

التنوين /

عذابُ اليم - جُرفِ هار - قوياً عزيزاً - غفورٌ حلیم - حديثٌ غيره - لطيفٌ خبير .

مثال محلول : عين النون الساكنة والتنوين في حالة الإظهار في الآية القرآنية الآتية مع ذكر السبب :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ﴾

الحجر: ٤٧

الحل : النون الساكنة في كلمة (من) مظهرة لـجاء حرف الغين بعدها والتنوين في كلمة (غل) إظهار لـجاء الهمزة بعدها . والتنوين في كلمة (إخوانا) إظهار لـجاء العين بعدها .

ثانياً : الإقلاب :

هو قلب النون الساكنة أو التنوين (ميماً) إذا جاء بعدها حرف الباء مع بقاء الغنة ، أي تُلَفَّظ النون الساكنة أو التنوين (ميماً) مخفاة . ويقع الإقلاب في كلمة واحدة أو كلمتين .

أمثلة النون الساكنة :

يُنْبِت — يَمْبِت . من بعد — مم بعد

التنوين : سميعاً بصيراً — سميعٌ بصيراً — سميعٌ بصيراً .

رؤوفٌ بالمؤمنين — رؤوفٌ بالمؤمنين — رؤوفٌ بالمؤمنين .

آياتٍ بيناتٍ — آياتٌ بيناتٍ — آياتٌ بيناتٍ .

(١) الغنة: هي صوت لا حروف يخرج من جوف أعلى قصبه الأنف وهي صفة لازمة للنون والميم لا تفترق عنهما سواء حرك

مثال محلول : عين حالة الإقلاب للنون الساكنة والتنوين في الآية القرآنية الكريمة الآتية مع ذكر السبب :-

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ البقرة: ٢١٣

النون الساكنة في كلمة (من) حكمها الإقلاب ، والتنوين في كلمة (بغياً) حكمها الإقلاب أيضاً لحجيء حرف الباء بعدهما .

ثالثاً: الإدغام :

هو قلب النون الساكنة أو التنوين في آخر الكلمة الأولى إلى جنس أحد حروف (يرملون) في أول الكلمة الثانية ليصبحا حرفاً واحداً مشدداً ويقسم إلى قسمين هما :
أ - الإدغام بغنة : هو قلب النون الساكنة أو التنوين في آخر الكلمة الأولى إلى جنس أحد حروف (ينمو) في أول الكلمة الثانية ثم إدغامهما ليكونا حرفاً واحداً مشدداً ولا يقع الإدغام إلا في كلمتين .

أمثلة على النون الساكنة :

مع الياء : لَنْ يَنْالَ ← لَيَّ يَنْالَ ← لِيَّ يَنْالَ .
 مع الواو : مَنْ وَالَ ← مَوُّوَالِ ← مَوَّوَالِ .
 مع النون : مَنْ نَشَاءَ ← مَنَّشَاءَ ← مَنَّشَاءَ .
 مع الميم : مَنْ مَاءَ ← مِمِّمَاءَ ← مَمِّمَاءَ .

أمثلة على التنوين :

وجوهٌ يَوْمئِذٍ ← وجوهٌ يَوْمئِذٍ ← وجوهٌ يَوْمئِذٍ .
 توبةٌ نَصوحاً ← توبَتُنْ نَصوحاً ← توبَتُنْ نَصوحاً .
 ماءٌ مَهِينَ ← ماءٌ مَهِينَ ← ماءٌ مَهِينَ .
 رحيمٌ ودود ← رحيمٌ وودود ← رحيمٌ وودود .

ب - الإدغام من دون غنة : هو قلب النون الساكنة أو التنوين في آخر الكلمة الأولى إلى جنس أحد حرفي (رل) الذي يجيء أول الكلمة الثانية ، وإدغامهما ليصبحا حرفاً واحداً مشدداً ومن دون غنة .

أمثلة على النون الساكنة :

مَنْ رَبِّهِمْ ← مَرَّبِّهِمْ ← مَرَّبِّهِمْ . لَنْ لَمْ ← لَلْ لَمْ ← لَلْ لَمْ .

مثال محلول : عين الإدغام للنون الساكنة والتنوين في الآية الكريمة الآتية واذكر

السبب :- قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ القيامة: ٣

الحل : النون الساكنة في كلمة (اُنْ) مدغمة إدغاماً بغنة لُجِيء حرف اللام بعدها والنون في كلمة (لُنْ) مدغمة إدغاماً بغنة لُجِيء حرف النون بعدها .

رابعاً : الإخفاء : هو النطق بالنون الساكنة والتنوين خالية من التشديد وسطاً بين الإظهار والإدغام مع الغنة (أي إخفاء معظم لفظ النون الساكنة والتنوين) إذا جاء بعدهما أحد حروف الإخفاء وهي خمسة عشر حرفاً مجموعة في أوائل البيت الآتي :

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما

دم طيباً زد في تقي ضع ظالماً

ويقع الإخفاء في كلمة واحدة أو في كلمتين.

أمثلة على النون الساكنة:

فانصب - منذر - من ثلثي - إن كذب - من جاء - فمن شاء - من قبل - من سعته - من دابة - من طبيبات - من زكاتها - من فئة - من تاب - ومن ضل - من ظلم .

التنوين :

عملاً صالحاً - صواباً ذلك - يؤمئذ ثمانية - كتاب كرم - كذاباً جزاء - غفور شكور - رزقاً قالوا - بشراً سوياً - ديناً قيماً - قوماً طاغين - غلاماً زكياً - يتيماً فأوى - جنات تجري - مكاناً ضيقاً - ظلاً ظليلاً .

مثال محلول : عين النون الساكنة والتنوين في حالة الإخفاء في الآية الكرمة الآتية مع ذكر السبب :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَأَنِّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴾ (٤٨) الحج: ٤٨

الحل : النون الساكنة في كلمة (مِنْ) حكمها الإخفاء لُجِيء حرف القاف بعدها والتنوين في كلمة (ظالمة) حكمه الإخفاء لُجِيء حرف الثاء بعدها . وإليك جدولاً بأحكام النون الساكنة والتنوين :

الخلاصة: ينتزع لنا أن للنون الساكنة والتنوين أربعة أحكام هي:

- (١) الإظهار: حروفه (ا، هـ، ع، غ، ح، خ) : أخي هاك علماً حازه غير خاسر
 - (٢) الإدغام: حروفه (ي، ر، م، ل، ن) : مجموعة في كلمة : **يرملون**
 - أ- إدغام بغنة (ي، ن، م، و) أي في كلمة ينمو ب- ادغام بغير غنة حروف : (ل، ر)
 - (٣) الاخفاء: حروفه مجموعة في أوائل البيت
- صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دُم طيباً زد في تقي ضع ظالماً**

(٤) الانقلاب: حرفه الباء

نهرينات:

ت(١) ما حكم النون الساكنة والتنوين في الآيات الكريمة الآتية واذكر السبب ؟

- ١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩ ﴾ البقرة: ٢٩ .
- ٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۝٤٤ ﴾ المائدة: ٤٤ .
- ٣- قَالَ تَعَالَى: ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨ ﴾ البقرة: ١٨ .
- ٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ الأعراف: ٣ .

٥- قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٦١ ﴾ البقرة: ٢٦١

- ٦- قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ ﴾ آل عمران: ٣٤
- ٧- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝١١٥ ﴾ آل عمران: ١١٥

٨- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ ﴾ الزخرف: ٣٣

ت(٢) ١- عدّد أحكام النون الساكنة والتنوين التي درستها ومثل لها؟

- ٢- عرّف الاظهار ومثل له.
- ٣- عرّف الادغام ثم بين اقسامه وحروفه ومثل له.
- ٤- عرّف الانقلاب وبين حروفه ومثل له مع النون الساكنة والتنوين.
- ٥- عرّف الغنة.
- ٦- عرّف الاخفاء ومثل له مع النون الساكنة مرة. ومع التنوين مرة أخرى.

بيان تعريف المصطلحات

عَلَامَاتُ الْوُقُوفِ وَمُصْطَلَحَاتُ الضَّبْطِ :

- م تَفِيدُ لِرُومِ الْوَقْفِ
 لا تَفِيدُ النَّهْيَ عَنِ الْوَقْفِ
 صل تَفِيدُ بَأَنَّ الْوَصْلَ أَوَّلَى مَعَ جَوَازِ الْوَقْفِ
 قل تَفِيدُ بَأَنَّ الْوَقْفَ أَوَّلَى
 ج تَفِيدُ جَوَازَ الْوَقْفِ
 .. تَفِيدُ جَوَازَ الْوَقْفِ بِأَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ وَلَيْسَ فِي كُلِّهِمَا
 • لِلدَّلَالَةِ عَلَى زِيَادَةِ الْحَرْفِ وَعَدَمِ التَّنْقِطِ بِهِ
 • لِلدَّلَالَةِ عَلَى زِيَادَةِ الْحَرْفِ حِينَ الْوَصْلِ
 • لِلدَّلَالَةِ عَلَى سُكُونِ الْحَرْفِ
 م لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُودِ الْإِقْلَابِ
 = لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِظْهَارِ التَّنْوِينِ
 = لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِدْغَامِ وَالْإِخْفَاءِ
 ١ لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِ التَّنْقِطِ بِالْحُرُوفِ الْمَتْرُوكَةِ
 س لِلدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِ التَّنْقِطِ بِالسَّيْنِ بَدَلَ الصَّادِ
 وَإِذَا وُضِعَتْ بِالْأَسْفَلِ فَالتَّنْقِطُ بِالصَّادِ أَشْهَرُ
 ~ لِلدَّلَالَةِ عَلَى لِرُومِ الْمَدِّ الرَّائِدِ
 ﷻ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَوْضِعِ الشُّجُودِ ، أَمَّا كَلِمَةُ وُجُوبِ الشُّجُودِ
 فَقَدْ وُضِعَ تَحْتَهَا خَطٌّ
 ﷻ لِلدَّلَالَةِ عَلَى بَدَايَةِ الْأَجْزَاءِ وَالْأَخْرَابِ وَأَنْصَافِهَا وَأَرْبَاعِهَا
 ﷻ لِلدَّلَالَةِ عَلَى نِهَائَةِ الْآيَةِ وَرَقْمِهَا .

الوحدة الاولى
الدرس الأول : من القرآن الكريم
من سورة البقرة

الآيات (١٥٣-١٧٠) آيات الحفظ ((١٥٣-١٥٧))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ
(١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا
تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ
مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن
رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴿ إِنَّا الصَّفَا وَالْمُرَّةَ
مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن
يَطُوفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي
الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ

يَنْظُرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
 ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
 الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
 مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
 الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ
 كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ
 الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ
 ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنتَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا
 كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ
 ﴿١٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ
 الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
 وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا
 يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

صدق الله العلي العظيم

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
شعائر الله	جمع شعيرة. وهي العلامات الدالة على عبادة الله تعالى.
الجُناح	الإثم
يطوف	يسعى بينهما ذهاباً وإياباً.
يكتُمون	يخفون
البيّنات	الأدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم من نعوت وصفات جاءت في كتب أهل الكتاب.
يَلْعَنُهُم	أصلها اللعنة: وتعني الطرد والبعد من كل خير ورحمة.
اللاعنون	من يصدر منهم اللعن: كالملائكة والمؤمنين.
أصلحوا	أصلحوا ما فسد من عقائد الناس .
ولا هم ينظرون	ولا يمهلون ليعتذروا.
اختلاف الليل والنهار	بوجود أحدهما وغياب الثاني لمنافع العباد فلا يكون النهار دائماً ولا الليل دائماً.
وبتّ فيها من كل دابة	ونشر فيها من سائر أنواع الدواب.
أنداداً	جمع ند. وهو المثل والنظير.
إذ تَبَرَّأَ	التنصل من الشيء والتباعد عنه لكرهه.
الذين اتَّبَعُوا	المعبودون والرؤساء المضلون.
الذين اتَّبَعُوا	المشركون والمقلدون لرؤسائهم في الضلال.
الأسباب	جمع سبب وهو - لغةً - الحبل ثم استعمل في كل ما يربط بين شيئين .
كرة	رجعة وعودة.
الحسرات	جمع حسرة وهي الندم الشديد .

المعنى العام

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

البقرة: ١٥٣ ﴿١٥٣﴾

في هذه الآيات نادى الله- تبارك وتعالى- عباده المؤمنين بلفظ الإيمان ليستنهض هممهم إلى امتثال الأوامر الإلهية. قائلاً: اطلبوا العون من الله في كل أموركم. واستعينوا بالصبر على الطاعات. وبالصلاة التي تنهى عن كل رذيلة. وتطمئن بها النفس. والله مع المؤمنين والصابرين بعونه وتوفيجه وحفظه وتأييده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ

البقرة: ١٥٤ ﴿١٥٤﴾

ولا تقولوا - أيها المؤمنون- فيمن يُقتلون في سبيل الله: هم أموات بل هم أحياء عند ربهم يُرزقون. ولكن لا تشعرون بذلك .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

البقرة: ١٥٥ - ١٥٧ ﴿١٥٧﴾

ولنختبرنكم بشيء من الخوف والجوع. ونقص بعض المال أو ذهابه. وموت بعض الأحباب. أو استشهادهم في سبيل الله. وضياع بعض الثمار والزرع بقلّة نتاجها أو فسادها. وبشّر- أيها النبي- الصابرين. الذين من صفاتهم أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه. قالوا: إِنَّا عبيد الله. يفعل بنا ما يشاء. وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون بالموت. ثم بالبعث للحساب والجزاء . أولئك الصابرون لهم ثناء من ربهم ورحمة عظيمة منه سبحانه. وأولئك هم المهتدون إلى الرشاد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٥٨)

إن الصفا والمروة- وهما جبلان قرب بيت الله الحرام- من معالم دين الله الظاهرة. ومناسكه التي تعبّدنا الله بها. فمن قصد بيت الله حاجاً أو معتمراً، فلا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما. بل يجب عليه ذلك. ومن فعل الطاعات متطوعاً من نفسه، مخلصاً بها لله تعالى، فإن الله تعالى شاكر يثيب على القليل بالكثير. لأنه عليم بأعمال عباده فلا يضيع عنده أجر المحسنين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ۖ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٥٩ - ١٦٠)

إن الذين يخفون ما أنزلنا من الآيات الواضحات الدالة على نبوة محمد (ص) وصدق ما جاء به، وهم أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم من يكتُم ما أنزل الله وأظهره للناس في التوراة والإنجيل، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويدعو عليهم باللعنة ملائكة الله والمؤمنون .

وَيَسْتَنْبِي اللَّهُ تَعَالَى مِنَ اللَّعْنَةِ الَّذِينَ تَابُوا وَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ ، وَرَجَعُوا عَنْ كِتْمَانِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَأَظْهَرُوا لِلنَّاسِ مَا عَلَّمُوهُ مِنْ أَمْرِ الرِّسُولِ وَالرِّسَالَةِ ، ويقول تَعَالَى إِنَّهُ يَتَقَبَّلُ تَوْبَتَهُمْ ، وَيَعْفُو عَنْهُمْ ، ويمحو ذُنُوبَهُمْ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ البقرة: ١٦١ - ١٦٢

إن الذين كفروا بالله وكتبه ورسله ، وكنتموا الحق ولم يظهروه وماتوا وهم على تلك الحال من الكفر والظلم فإنهم يستحقون لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ويكون مصيرهم في نار جهنم ليجلدوا فيها أبداً ، وإذا طلبوا الإمهال والتأخير لم يجابوا إليه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

البقرة: ١٦٣

واللهكم- أيها الناس إله واحد، متفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبودية خلقه له، لامعبود بحق إلا هو، الرحمن المتصف بالرحمة، والرحيم بالمؤمن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤

يلفت الله تعالى أنظار العقلاء من الناس إلى الآيات الدالة على ألوهيته ، ومن هذه الآيات : خلق السماوات والأرض وما فيهما من عجائب ، وارتفاع السماء وكواكبها ، ودوران فلكها ، واتساعها ، وما في

الْأَرْضِ مِنْ بَحَارٍ وَجِبَالٍ وَأَنْهَارٍ وَعُمُرَانٍ وَقِفَارٍ وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَعَاقُبُهُمَا ، يَجِيءُ هَذَا وَيَذْهَبُ ، وَيَعْقُبُهُ الْآخَرُ ، وَاخْتِلَافُهُمَا طَوْلًا وَقَصْرًا . . . وَتَسْخِيرُ الْبَحْرِ لِحَمْلِ السُّفُنِ (الْفُلِّ) لِيَنْتَقِلَ بِهَا النَّاسُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى آخَرَ ، وَإِنْزَالُ اللَّهِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ لِيُحْيِيَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ يَبْسِهَا (مَوْتِهَا) ، فَتَزْدَهَرُ وَتَنْبُتُ بِالْخَضِرَةِ وَالزَّرْعِ وَالثَّمَرِ . وَمِنْ آيَاتِهِ بَثُّ الدَّوَابِّ فِي الْأَرْضِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا ، وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ الْخَلْقَ كُلَّهُ وَيَرْزُقُهُ . وَمِنْهَا تَسْخِيرُ الرِّيحِ السَّائِرَةِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِرَادَتِهِ ، وَسَوْقُ الْغُيُومِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ . . . فَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ فِيهَا عِبَرٌ وَدَلَالَاتٌ لِلنَّاسِ الْعُقَلَاءِ عَلَى الْوَهْيَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ^ط وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ^ط وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ البقرة: ١٦٥

ومع هذه البراهين القاطعة يتخذ فريق من الناس من دون الله أصناماً وأوثاناً يجعلونهم نظراء الله تعالى. ويعطونهم من المحبة والتعظيم والطاعة، ما لا يليق إلا بالله وحده. والمؤمنون أعظم حباً لله من حب هؤلاء الكفار لألهتهم، ولو يعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك في الحياة الدنيا، حين يشاهدون عذاب الآخرة أن الله هو المتفرد بالقوة جميعاً ، وأن الله شديد العذاب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَاكَ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ^ط وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾

البقرة: ١٦٦ - ١٦٧

وحين يرى المشركون عذاب الآخرة يتبرأ الرؤساء المتبوعون من اتبعهم على الشرك، وتنقطع بينهم كل الصلات التي ارتبطوا بها في الدنيا، من القرابة، والاتباع والدين، وغير ذلك؛ لأنها كانت لغير الله تعالى. وقال التابعون: ياليت لنا عودة إلى الدنيا فنعلن براءتنا من هؤلاء الذين أضلونا السبيل، مثل براءتهم منا. وكما أراهم الله شدة عذابه يوم القيامة، يريهم أعمالهم الباطلة ندامات عليهم، وليسوا بخارجين من النار أبداً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

البقرة: ١٦٨ - ١٧٠

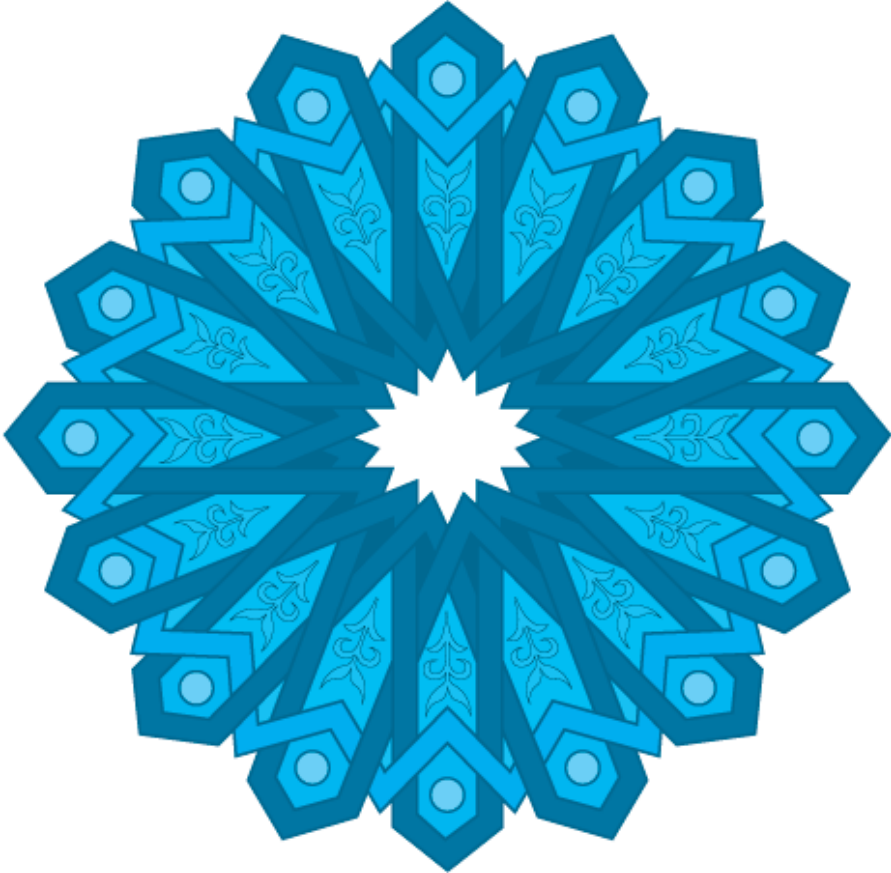
يا أيها الناس كلوا من رزق الله الذي أباحه لكم في الأرض، وهو الطاهر غير النجس، النافع غير الضار، ولا تتبعوا طرق الشيطان فيما يُزينه لكم من المعاصي والفواحش، فتحرّموا حلال الله، واخللوا حرامه. إن الشيطان لكم عدو ظاهر، لأنه يأمركم بكل ذنب قبيح يسوؤكم، وبكل معصية بالغة القبح، وبأن تفتروا على الله الكذب من تحريم الحلال وغيره بلا علم. وإذا قال المؤمنون ناصحين أهل الضلال: اتبعوا ما أنزل الله من القرآن والهدى، وأصروا على تقليد أسلافهم المشركين قائلين! لانتبع دينكم بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا، أيتبعون آبائهم ولو كانوا سفهاء أغبياء ليس لهم عقل يردعهم عن الشرّ، ولا بصيرة تنير لهم الطريق؟

أبرز ما ترشد إليه الآيات:

١. أنه- سبحانه- يدعو إلى التمسك بالصبر والصلاة والاستعانة بهما. لأن الصبر يقود إلى الفضائل. والصلاة تنهى عن قبائح الأمور.
٢. أن من يستشهد في سبيل الله. هو حيّ يرزق عند الرازق الكريم. ونحن لا نشعر بذلك.
٣. أن الله يبتلينا بالخوف والجوع. وضياع المال أو بعضه. وفقد من نحب. وضياع الزروع والثمار. ومن يصبر على هذه البلايا. يبشره الله بجنت النعيم.
٤. أن الصفا والمروة من شعائر الله. وعلى الحاج والمعتمر أن يطوّف بهما.
٥. أن من يكتُمون ما أنزل الله من الآيات البينات. والدلائل الواضحات التي تدلُّ على صدق نبينا الأكرم (ص). سوف يلعنهم الله ويبعدهم عن رحمته.
٦. أن الذين كفروا بالله واستمروا على كفرهم يلعنهم الله والملائكة والناس جميعاً. وهم في النار خالدون وعذابهم لا ينقطع ولا يخفف ولا يؤجل.
٧. أن إلهنا المستحق للعبادة واحد لا نظير له.. وهو خالق السماوات والأرض والليل والنهار.. ويجب ألاّ نتخذ أحداً غيره معبوداً.
٨. دعا الله سبحانه الناس جميعاً إلى أن يأكلوا مما أحلّ الله. وألاّ يتبعوا خطوات الشيطان. وألاّ يحرموا ويحللوا من تلقاء أنفسهم. لأن عليهم فقط أن يتبعوا ما أنزل الله على رسوله الكريم (ص).

المناقشة:

١. لِمَ يبتلينا الله؟
٢. ما قصة شعيبة الصفا والمروة؟
٣. (وما هم بخارجين من النار)، أي ليس لهم سبيل إلى الخروج من النار. بل هم في عذاب سرمديّ. وشقاء أبدي. من هم هؤلاء؟
٤. يأمرنا خالقنا العظيم بعدم اتباع خطوات الشيطان؟ اكتب سبعة أسطر بهذا الشأن؟
٥. بين طبيعة العلاقة بين قادة الشرك وأتباعهم يوم القيامة؟
٦. في خلق الله تعالى دلائل على عظمته ووحدانيته. حدد الآيات التي تحدثت عن ذلك ثم بين بعضاً من تلك الدلائل؟



الدرس الثاني: من قصص القرآن أصحاب الكهف:

لقد انكر الذين فتنهم الدنيا ببهجتها وزينتها البعث مع أن الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل ، وهذه قصة أهل الكهف تثبت قدرة الله تعالى على البعث ، فيخبر الله تعالى نبيه محمد (ص) في سورة الكهف عن قصة فتية آمنوا بالله فأنامهم في كهف ثلاثمائة وتسع سنين ثم ايقضهم من رقادهم ، فهل هناك شك في عظمة قدرة الله تعالى.

فما هي أحداث القصة ؟

تدور أحداث القصة حول فتية من أشرف القوم قد آمنوا بالله تعالى ، وصدقوا بوحدانيته وكانوا على دين الحق وسط قوم مشركين . وقد حيك حول قصتهم الأساطير والخرافات. فأخبرنا الله تعالى خبر الحق عنهم ، إنهم فتية نبذوا عبادة قومهم لغير الله وآمنوا بالله وحده ، وقد زادهم الله تعالى يقينا وثبت قلوبهم على الإيمان والصبر على الشدائد ولم يبق في تلك القلوب النقية مكاناً للشك أو النفاق .
قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (١٣) الكهف: ١٣

وعاهدوا الله على عبادته وحده لا شريك له خالق السموات والأرض الحي القيوم إذ لا يستحق العبادة غيره ، ثم تعاهدوا على الثبات في طريق الحق ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ (١٤) الكهف: ١٤

لقد كان ملك بلدتهم (دقيانوس) يأمر الناس بعبادة الآلهة ويقتل كل من يعاديها ، أو يعبد غيرها ، فطلب هؤلاء الفتية الى الله تعالى أن يحفظهم من الملك الظالم

و قومهم المشركين فتعاهدوا فيما بينهم على الخروج من قومهم واعتزالهم والفرار بدينهم فقال بعضهم لبعض : هؤلاء قومنا عبدوا الاصنام واشركوا بالله تعالى بلا حجة ظاهرة ، أو برهان معقول ، وانهم لظالمون فيما فعلوا ولأحد أشدُّ ظلماً من افترى على الله كذباً .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ الكهف: ١٥

وقال بعضهم لبعض : مادمنّا قد اعتزلنا القوم في كفرهم وشركهم ولم نرهب تهديد هؤلاء المشركين وملكهم فلنذهب الى الكهف وجعله مأوى لنا فرارا بديننا من بطش الملك والمشركون ، والله تعالى سينشر لنا من رحمته ومغفرته ، ويسهل لنا أمورنا فيما ننتفع به في أمور معيشتنا وحياتنا ، وهكذا هو حال المؤمنين فهم يثقون بما عند الله تعالى وعليه يتوكلون .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْاْ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ الكهف: ١٦

فلما وصل الفتية الجبل ، استقروا في الكهف يرتاحون ويعبدون الله تعالى ثم القوا باجسادهم الى الأرض فغطوا في نوم عميق دام ثلاثمائة وتسع سنوات، إذ القى الله تعالى عليهم النوم الثقيل ومرت السنون وهم في حرز منيع فقد كان للكهف فتحة واسعة في الجبل وهي متجهة الى الشمال ، يأتي اليه النسيم العليل ، وإذا طلعت الشمس من الشرق عن يمينهم مالت أشعتها عنهم وإذا اجّثت الى الغرب عن يسارهم ، تجاوزتهم ولم تدخل اشعتها في كهفهم ، فحرارة الشمس لاتؤذيهم ، والهواء يأتيهم نسيما عليلا فهم في رعاية الله وحمايته وعنايته ، وذلك كله من دلائل قدرة الله فمن يوفقه الله يهتدي كما اهتدى أصحاب الكهف ، ومن لا يوفقه لفساده وانحرافه ، فلن تجد له ناصرا يرشده الى طريق الخير والهدى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكَ تَهْتَدُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف: ١٧

لقد كان الناظر اليهم وهم في كهفهم يراهم منتبهين أيقاظا لانفتاح عيونهم وكثرة تقلبهم وهم في الحقيقة نيام ويقلبهم الله تعالى في نومهم ، يمينا مرة ويسارا أخرى حتى لا تؤثر الأرض في أجسادهم ، فتحفظ بذلك أجسامهم من تأثير الأرض مع طول الزمن .

ولقد صاحبهم في اعتزالهم للقوم كلب لهم تراه ماداً ذراعيه في الفناء وهو نائم أيضا في شكل اليقظان ، ولو نظرت اليهم وهم على تلك الحالة لفررت منهم هاربا ولملئ قلبك من منظرهم رعباً لهيبتهم في منامهم ، فلا يقع نظر أحد عليهم الا هابهم وفرّ منهم ، حتى لا يدخل أحد عليهم أو يدنو منهم بسوء ولا تمسهم يد طيلة مدة بقائهم في الكهف، فقد حماهم الله تعالى ، لقد كان فرارهم الى الكهف خوفا من المشركين فلو علم المشركون بإيمان الفتية لرجموهم بالحجارة حتى الموت أو أكرهوهم على الرجوع الى دين المشركين بالقوة ، وإذا دخلوا بدين المشركين فلن يفلحوا في الدنيا والآخرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ الكهف: ١٨

لذلك حفظهم الله تعالى في كهفهم ، ولقد بقي هؤلاء الفتية طيلة نومهم في حفظ الله وعنايته فلم تتغير أجسادهم ولم يبلّ لهم ثوب. وبعد تلك النوم الغارقة في الزمن أيقظهم الله تعالى بأمره وقدرته ، فلما استيقظوا من نومهم سأل بعضهم بعضا عن مدة نومهم ومكثهم في الكهف ، فقال أحد الفتية لأصحابه كم لبثتم في نومكم ؟ فقالوا : مكثنا يوما أو بعض يوم .

ولما لم يكونوا متأكدين من ذلك قالوا : اتركوا الأمر لله تعالى فهو أعلم بما لبثنا ، وقد مسَّهم الجوع ، فأرسلوا أصغرهم الى المدينة يلتمس اليهم طعاما وقد أخذ العملة التي كانت لديهم ، وأوصوه أن يدخل متنكرا حتى لا يعرفه أحد ويختار أفضل الطعام وأن يكون حسن المعاملة عند دخوله المدينة وشرائه للطعام ، حتى لا ينتبه اليه أحد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ١٩

فلما دخل المدينة استغرب تغير معالمها ، فسأل أحدهم أين أجد الطعام لاشتريه؟ فسأله أنت غريب ؟ ! فقال لست بغريب لكني أبحث عن الطعام لاشتريه ، فأخذه الرجل بيده الى صاحب الطعام ولما تخير الطعام ودفع ماله من عملة ثمنها لما اشتراه استغرب البائع وأخذ يقلب النقود في كفه مذهولا ويظن أن الفتى قد عثر على كنز فسأله : من أين حصلت على النقود ؟ فتنبه الناس واجتمعوا حوله وأخذوا يتفحصون النقود وقالوا له : لعلك وجدت كنزا ؟ فقال : لا والله إنها دراهم قومي ثم اضطر لشرح حاله وحال الفتية وكيف فروا بآيمانهم الى الكهف خوفا من الملك الظالم لهم ، وبعد الحوار عرفوا حقيقة أمره وأنه واحد من الفتية الاشراف الذين اختفوا وفقدوا منذ ايام الملك دقيانوس قبل ثلاث مئة سنة وتسع ، فلقد كان أهل البلدة يتناولون قصة الفتية فيما بينهم جيلا بعد جيل ، فلما عرفوا به طمأنوه بأن الملك الظالم قد مات وأن ملكهم الان ملك مؤمن وعادل. عندها أدرك الفتى المدة الزمنية التي لبثوا فيها في الكهف ثم شاع خبر الفتى في المدينة حتى وصل الملك فأرسل في طلبه ولما التقاه أخبره بقصتهم ، فاستغرب الجميع فقال لهم: تعالوا معي وتأكدوا من صدق مقالتي ولما ذهبوا معه ، وجدوا فتية باعمار صغيرة بثياب تمتد في هيئتها الى زمن بعيد ، فبقي الفتى مع اصحابه في الكهف ، و بعد أن تأكد القوم

من الخبر ذهبوا الى الملك ليؤكدوا له حقيقة الأمر. وسرعان ماتوجه الملك الى الكهف ليرى بعينه تلك المعجزة . ولما دخل عليهم وجدهم يصلون فعانقهم ودعى لهم بالتوفيق .

ثم القى الله عليهم النوم بعد أن عادوا إلى مضاجعهم . فاماتهم الله سبحانه وتعالى . ولما عاد القوم الى اصحاب الكهف ووجدوهم قد ماتوا بعد أن اطلعهم الله عليهم . قالوا لنبني على باب الكهف مسجدا نصلي فيه ووافق الملك على ذلك وبنوا مسجدا لايزال قائما ومعروفا الى اليوم في أرض الأردن .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْكَدَا ۝٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَغَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۝٢١ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٢٢ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ۝٢٤ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝٢٥ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۝٢٦﴾

الكهف: ٢٠ - ٢٦

أبرز ما يستنتج من القصة :

١. وجوب الإيمان بالبعث وعظيم قدرة الله تعالى ، كما بعث الله أصحاب الكهف من نومهم ليطلع الناس على عظيم قدرته بعد كل تلك السنوات فهو قادر أن يبعث الناس جميعا للحساب يوم القيامة .
٢. وجوب اتباع الحق واصحابه وإن كان أهله قليلاً ، ومهما كانت سطوة الباطل والظلم وأهله .
٣. وجوب الثقة بالله والتوكل عليه والتسليم لقضائه ، فقد انقاد أصحاب الكهف بعقيدة راسخة الى الله وسلموا اليه أمرهم فبسط الله تعالى عليهم رزقه ورحمته وعنايته .
٤. جواز بناء المساجد وتأدية الصلاة في الأماكن التي ضمت قبور الأولياء ووجوب احترام قدسيتها كونها مراكز عبادة استنادا لقوله تعالى: (لتتخذن عليهم مسجدا) ، كمرقد الأئمة الأطهار عليهم السلام ومرقد الإمام ابي حنيفة النعمان ومرقد الشيخ عبدالقادر الكيلاني وغيرها من مرقد الأولياء.

المناقشة

- ١- في أي بلد كان يسكن أصحاب الكهف ؟ وماذا كانوا يعبدون؟
- ٢- ماذا كان رد الملك عليهم وبم توعدهم؟
- ٣- هل كانت عبادة قومهم عبادة تقليد أو برهان. وضح ذلك؟
- ٤- كيف كان حال الفتية في الكهف؟
- ٥- رقد الفتية، فهل كان رقادهم على صورة موت أم نوم؟ ناقش ذلك بالدليل القرآني.
- ٦- لم كانت الشمس تميل عنهم وتتجاوزهم عن اليمين وعن الشمال؟

الدرس الثالث: من الحديث النبوي الشريف (التعاون بين المسلمين))

لشرح فقط

قال رسول الله (ص):

مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيَعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ
كَانَ لَهُ فَضْلٌ زَادَ، فَلْيَعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ .

صدق رسول الله (ص)

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
فضل	ما زاد عن حاجة المرء وأهل بيته.
ظهر	دابة الحمل أو الركوب.
فليعد	من «العائدة» وهي النفع والعطف والمعروف، يُعاد به على الإنسان المحتاج.
الزاد	ما يأخذه المسافر من طعام وغيره.

شرح الحديث

في الحديث حثٌّ على التعاون والتكافل عن طريق الإنفاق والمساعدة، ورعاية مصالح المحتاجين والفقراء، بعيداً عن المنّة وذلّ السؤال. إذ إن من صفات المسلمين التعاون والتعاطف فيما بينهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

المائدة: ٢

وإذا كانت هذه هي صفات الأفراد ، فما ينبغي أن يجحد الغني حقَّ الفقير في ماله، أو يدعّه للبوُس والفاقة والعوز. فمن الواجب ألاّ تعيش جماعة في مستوى الترف، وتعيش جماعة أخرى في مستوى الشظف والجوع والحرمان، وقد أكّد الرسولُ هذا المعنى بقوله (ص):

(أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله)

وقال (ص): (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

فاللأل انما لله، ونحن خلفاء في أرضه، فينبغي أن ننظر في أي وجهٍ ننفقه ليجزينا بما نعمل، لذلك أمرنا الله تعالى بالتكافل والتعاون والتراحم فإذا جاع الفقراء فذلك انما لبخل الأغنياء وشحهم وجشعهم، ولقد أكد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هذه الحقيقة بقوله:

(إنَّ الله تعالى فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم، فإن جاعوا، أو عروا أو جهدوا، فبمنع الأغنياء، وحقَّ على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه). ولقد حرص المسلمون الأوائل على إقامة دعائم المجتمع المتكافل المتعاون واستئصال شأفة الفقر والقضاء عليه كي لا يبقى بين أبناء الأمة فقيرٌ أو محتاجٌ .

إنَّ سبب شيوع الفقر بين أبناء الأمة هو منع المال عن تأدية وظيفته الاجتماعية من بعض الأغنياء وجعله دولة بينهم، وعدم مساعدتهم للفقراء.

وقد شجع الرسول الكريم (ص) على عمل قامت به إحدى القبائل عندما كانوا يجمعون في أوقات الشدة والحاجة ما عندهم من طعام، كلٌّ قدر ما عنده، ثم يقسمونه بينهم بالسوية حقيقاً للتراحم بينهم، والتشارك في السراء والضراء، وتدعيم أواصر الأخوة بينهم.

وإذا كان ما يخرج من مال الغني مناً ورياءً صادراً عن شعور غير كريم، صار عملاً خسيساً يؤذي النفس والضمير، ويؤدي المجتمع في أفرادهِ وروابطهِ، وليس كالمُنِّ والرياءِ بالإحسان شيء يؤذي النفس ويذلُّها، ويصرفها عن قبول الإحسان. وحكم من يتصف بذلك، البُغْض في الدنيا والعذاب يوم القيامة. قال رسول الله (ص): (ثلاثة لا يكلمهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم: ^(١) المنان ^(٢) بما أعطى والمسبل ^(٣) إزاره ^(٤)، والمنفق ^(٥) سلعته بالخلف الكاذب). وإذا كان الإسلام قد ذمَّ المنانَ المرائي فهو يبشِّر مَنْ يجود بماله بنفسٍ راضيةٍ، بالجنة ونعيمها الدائم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٦) البقرة: ٢٦٢

وقال رسول الله (ص): (أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عري كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم).

(١) المنان: الذي يمنُّ بعطائه.

(٢) المسبل: الذي يطيل ثوبه كبيراً وفخراً.

(٣) المنفق: المروج الذي يغرُّ المشتري فيما يشتريه بالأيمان الكاذبة.

لذا فالتراحم بين أفراد الأمة وعطف بعضهم على بعض يؤدي إلى الحياة الطيبة الكريمة الهانئة ، وإذا ما انحرفت الأمم وظلم بعضها بعضاً ، ابتلاها الله بالتخلف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

أهم ما يرشد إليه الحديث

١. يشير الحديث إلى دور التعاون والتكافل الاجتماعي في تحقيق العدالة للفئات التي جعلها ظروف الحياة في أوضاع تعجزُ فيها عن العيش الكريم ، الذي يحفظ لها إنسانيتها بلا مهانة ولا تعاسة ولا شقاء.
٢. يفرض الإسلام رعاية مصلحة المجتمع عند تملك المال: لأن المال لله والإنسان مؤتمن عليه. قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الحديد: ٧
- فيد المالك يدُ الاستخلاف والله جعل المال وسيلة للخير فلا يصح أن يُستعمل إلا في الخير. أي في مصلحة المجتمع.
٣. الإسلام يكره تكديس الثروات في أيدي قليلة، لما يؤدي ذلك إلى ترف بعض على حساب الآخرين فيكون سبباً للفساد والاستغلال.
- قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ الحشر: ٧
٤. كل إنسان مسؤول عن شؤون المجتمع، واستقامة أمره. قال رسول الله (ص) : (كَلِّم رَاعٍ وَكَلِّم مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ) وواجب على المرء أن يهتم بشؤون إخوانه ليسد حاجاتهم. قال رسول الله (ص) :
- (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم): لأن الإسلام يسعى إلى تقليل الفوارق بين أفراد الأمة لما وراءها من أحقاد وأضعاف، ولما يتبعها من استئثار وجشع وقسوة، تفسد النفوس .
٥. العطاء النابع من أعماق الشعور، الذي يخلو من المنّ والرياء، يسمو بنفس الإنسان ويحقق الأهداف الإنسانية التي دعا إليها الإسلام، وهي الأهداف الاجتماعية التي تُوجد التوازن ، وتكافح الحرمان ، وتحقق التكافل والتعاون بين الأغنياء والفقراء، وتكوّن مجتمعاً متعاوناً سليماً.

المناقشة

- ١- إذا كان ما يخرج من مال الغني منّاً ورياءً، وصادراً عن شعور غير كريم، فإلى أي شيء يتحول ؟
- ٢- ما حكم المرائي ؟
- ٣- بِمَ بَشَّرَ الْإِسْلَامُ مَنْ يَجُودُ بِمَالِهِ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ ؟
- ٤- إذا انحرفت الأمم، وظلم بعضها بعضاً، فما آثار ذلك؟
- ٥- ما المسؤولية الشرعية تجاه الفقراء؟
- ٦- بَيْنَ أَهَمِّ مَا يَرْشِدُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ؟
٧. ما معنى كل ما يأتي: يعد به، المنان، المسبيل إزاره؟



الدرس الرابع: أبحاث

نظام الأسرة في الإسلام

جاء القرآن الكريم شريعة للدين والدنيا، فشرّع للفرد والمجتمع من النظم والقواعد ما يؤمن الحياة الكريمة المستقرة للإنسانية جمعاء. وقد لقيت الأسرة وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع. اهتمام القرآن الكريم بتنظيم أحكامها مفصلة، إذ بيّن لكل فرد فيها حقوقه وواجباته. فجعل بنيان الأسرة على أسس ثابتة أهمها:

١. **وحدة الأصل والمنشأ**، فجميع أفراد الأسرة من أصل واحد، والرجل والمرأة من منشأ واحد

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الأنعام: ٩٨

٢. **المودة والرحمة**: يجب أن تسود الأسرة المودة والرحمة لإقامة مجتمع قوي متماسك فاضل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم: ٢١

٣- **العدالة والمساواة**: لقد وزّع القرآن الكريم الحقوق والواجبات على كل فرد من أفراد الأسرة بالعدالة، ولم يُفضّل بعض المسلمين على بعض إلا بالعمل الصالح.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣

٤- **التكافل الاجتماعي**: ينظر الإسلام للأسرة على أنها مجموعة مترابطة تقوم على أساس التعاون بين جميع أفرادها يسودها القانون العام في الحث على التعاون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

المائدة: ٢

وعلى هذا الأساس شرعت أحكام النفقات والميراث والوصية. ومن أجل إنشاء الأسرة الكريمة على العدل، وصيانتها وديمومتها.

المبادئ العامة للزواج

أول ما يطالعنا في الحديث عن الأسرة هو الزواج، وهو العقد المقدس الذي هو من نعم الله على عباده، وشواهد قدرته وعظمته
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ (٢١) الروم: ٢١

والقرآن الكريم لا يستعمل لفظ الآيات، إلا في الأمور الجليلة العظيمة ليدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى وحكمته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) آل عمران: ١٩٠

وقد بين القرآن الكريم أهمية هذه الصلة التي تجمع طرفي عقد الزواج وما ينتج عن ذلك من آثار، فقال سبحانه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء: ١

فالباعث على الزواج هو إمداد المجتمع بالبنين والبنات وإيجاد السعادة بين الزوجين في الحياة المشتركة لتستمر الحياة؛ لأن النسل القوي لا ينشأ إلا في الأسرة المتماسكة القوية وهي لا تكون إلا حيث المودة والمحبة والرحمة بين أفرادها. ويمكن أن نحدد ملامح الزواج كما رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية بالمبادئ والصفات الآتية:

١. حسن الاختيار:

أوصى الإسلام أن يختار كل من الزوجين شريك حياته على أسس ثابتة لاتزول . وهي الدين والخلق، وأما غير ذلك من مال أو جمال أو نسب فهو زائل، فالمال غاد ورائح، والجمال له زمن محدد، والنسب لا فخر به؛ لأن التفاضل بالعمل الصالح، والتقوى، وقيمة كل أمرىء بما يحسنه.

ولأن الزواج رباط مقدس وبه يتحدد مصير الزوجين وسعادتهما، وجب التمعن والتأكد

من حسن الاختيار. لأنَّ سوء الاختيار لا يؤدي إلى السكن ولا إلى المودة والرحمة بين الزوجين. قال (ص) : **(تُنكح المرأة لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)** بمعنى أصابها الخير الكثير بذات الدين.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾ البقرة: ٢٢١

وبحسن اختيار كل من الزوجين صاحبه تستمر الحياة الزوجية مليئة بالحب والسعادة وتضمن للأولاد حسن التربية. لأنَّ النشء لا يكون قوياً في بيت تملؤه الضوضاء والخلاف وسوء التفاهم مابين الزوجين ، ولا بدّ لمن يريد اختيار زوجة له أن يعرف المحرمات من النساء عليه وفيما يأتي تفصيل ذلك :

المحرمات من النساء:

إن الإسلام يحبّذ الزواج ويهيئ كل الوسائل الشريفة لذلك ويبنيه على دعائم ثابتة؛ ولذا كان حريم بعض النساء في أضيق نطاق وهي المحرمات على التأبّد أو التوقيت وما عدا ذلك للرجل أن يتزوج من يشاء من النساء على وفق الشرع. والمحرمات من النساء على نوعين:

أولاً: التحريم المؤبّد:

وهو التحريم الذي يمنع أن تكون المرأة زوجاً للرجل في جميع الأوقات. أسبابه ما يأتي:

أ- المحرمات بسبب النسب: بين الله تعالى المحرمات فقال:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ ﴾ النساء: ٢٣

أي حرم عليكم نكاح الأمهات وشمل اللفظ الجدّات من قبل الأب أو الأم. و(بناتكم) وشمل بنات الأولاد وإن نزلن. و(أخواتكم) أي شقيقة كانت أو لأبٍ أو لأم. و(عماتكم) أي أخوات آبائكم وأخوات أجدادكم والخالة. وخالة الأصول و(بنات الآخ وبنات الأخت) أي بنت الأخ وبنت الأخت ويدخل فيهن أولادهن وهؤلاء. المحرمات بالنسب وهن:

الأمهات، البنات، الأخوات، العمات، الخالات، بنات الأخ، بنات الأخت.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ

النساء: ٢٣﴾

ب- المحرمات بسبب المصاهرة: وهذا يعني تحريم نكاح أم الزوجة وأم أمها وأم أبيها .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ النساء: ٢٣

وابنة زوجته التي دخل بها وبنات بناتها لقوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبَائِبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي

دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾

النساء: ٢٣

كما يحرم على الابن التزوج بزوجة أبيه بمجرد عقد الأب عليها وإن بعد الأب بأن

كان الأب أو أبا أم الأب لقوله تعالى :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ النساء: ٢٢

ولفظ الآباء يتناول الآباء والأجداد. ويحرم كذلك على الأصل زوجة فرعه، أي يحرم

على الأب زوجة ابنه وإن بعد الابن بأن كان ابن الابن :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ النساء: ٢٣

أي: وحرم عليكم نكاح زوجات أبنائكم الذين ولدتموهم من أصلا بكم بخلاف من

تبنيتموهم أي زوجات أبنائكم وذكر الاصلا ب لإسقاط مراعاة التبني لا لإحلال زوجة

الابن من الإرضاع فهذه محرمة كزوجة الابن الصلب.

ج- المحرمات بسبب الرضاع: من رضع من امرأة بالشروط الشرعية المقررة صارت مثل

أمه فتحرم عليه بسبب هذا الرضاع ويحرم عليه كل من متَّ إليها بسبب النسب

والمصاهرة وهنَّ أمه وبناتها وأخته وبنات أخوانه وأخواته وعمته وخالته وأم امرأته

وبنتها وامرأة أبيه وامرأة ابنه.

كل ذلك يحرم من الرضاع كما يحرم من النسب والمصاهرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَعَةِ﴾ النساء: ٢٣

وهذه الآية الكريمة وان لم يذكر فيها إلا الأم والأخوات من الرضاعة ولكن تثبت حرمة الباقي من ذكرنا بقول النبي (ص):

(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب).

وعلى هذا لو أرضعت امرأة طفلاً حرم عليه زوجة زوج المرضعة الذي نزل لبنها منه لأنها امرأة أبيه من الرضاعة. ويحرم على زوج المرضعة امرأة هذا الطفل لأنها امرأة ابنه من الرضاعة. وحرمت على هذا الطفل أيضاً بنات مرضعته وبناتهن لأنهن أخواته وبنات أخوته وهكذا. ويستثنى من القاعدة بعض هذه المسائل، فمن هذه المسائل المستثناة أم أخيه رضاعاً، فإذا أرضعت امرأة صبياً وكان لها ابن من النسب يجوز لابنها هذا أن يتزوج بأم الصبي الذي رضع من أمّه مع أنها أم أخيه رضاعاً. ومنها أخت ابنه رضاعاً، فإذا أرضعت امرأة صبياً ولهذا الصبي أخت لم ترضع من تلك المرأة يجوز لزوج المرأة أن يتزوج أخت ذلك الصبي الذي هو ابنه من الرضاع.

ثانياً: التحريم المؤقت:

وهو التحريم الذي يمنع تزويج الرجل بالمرأة ما دامت على حالة خاصة فإذا زالت هذه الموانع، جاز الزواج. ومن اسبابه ما يأتي:-

أ- يحرم الجمع بين الأختين معاً في النكاح:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ النساء: ٢٣

ب- يحرم على المسلم أن يتزوج زوجة غيره ما دامت في عصمة زوجها أو معتدته .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ النساء: ٢٤

ج- من أحرم للحج: يحرم عليه أن يعقد لنفسه أو لغيره.

د- يحرم التزوج من المشركة: فلا يجوز أن يتزوج وثنية أو عابدة بقر أو ملحدة أو اباحية ، لقوله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾﴾ البقرة: ٢٢١

ويحرم على المسلم أن يجمع في عصمته أكثر من أربع زوجات في وقت واحد ولا يحق للمرأة المسلمة أن تتزوج غير المسلم، فإذا أسلم، جاز الزواج.

من حكم التحريم :

هي ان تبقى صلة القرى بعيدة عن المنازعات التي تعترض حياة الزوجين فتفسد العلاقة النسبية. وليبقى المرء على اتصال دائم بقريباته المحرم الزواج بهن كأخواته وعماته وخالاته. وألا يبتعد الإنسان عن جميع أهله فالواجب عليه أن يكون باراً وقريباً إليهم.

٢- الخطبة:

نظراً لأهمية عقد الزواج ولما يترتب عليه من آثار ونتائج فقد جعل الشارع له مقدمة هي الخطبة ووضع لها أحكاماً مفصلة. فحث الشارع الخاطب على أن يرى خطيبته وأن تراه أيضاً ليعرف كل منهما الآخر ضمن حدود الشرع. عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ص): (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعو إلى إنكاحها فليفعل).

وقال أيضاً لأحد صحابته وقد خطب امرأة (انظر إليها فانه أحرى ان يؤدم^(١) بينكما). فأباح الإسلام ان يجتمع الراغب في الخطبة مع من يريد خطبتها يحدثها وتحدثه عن آماله وأهدافه ومنهجه في الحياة المشتركة المقبلة وان يكرر هذه الزيارة ان لم يحصل المقصود بزيارة واحدة على ان يكون هذا ضمن حدود الشريعة فلا ينظر منها الا إلى ما أجازته الشرع للخطاب ولا يختلي بها لانه لا فائدة من انفرادهما بل ربما يقع الضرر الواضح والمؤكد لهذا يجب ان يكون لقاؤهما مع محرم لئلا تحدث نفس أحدهما بشيء تأباه الشريعة والخلق الكريم وهذا من حرص الإسلام على إنشاء أسرة نظيفة في مجتمع شريف. اما ما يتطلع إليه بعض أوساط المراهقين من اختلاط الخطيب بخطيبته وانفرادهما في النزعات والرحلات قبل عقد الزواج فهو أمر غير جائز وتأباه المروءة والفضيلة فقد قال رسول الله (ص):

(لا يخلون رجل بإمرأة إلا كان ثالثهما الشيطان) .

وما يدعيه هؤلاء نقلا عن الأوساط الأجنبية التي نشأ فيها الاختلاط بمآسيه وآثاره السيئة من ان معاشرة الخطيب لخطيبته تزيد معرفته بها فهو كلام لاصحة له ولا أصل يقيمه عليه. لأن كل امرئ قد يظهر محاسنه ويخفي مساوئه أمام خطيبه بما يكون له صورة مشوهة غير صحيحة.

وفي هذا يقف الإسلام موقفاً وسطاً بين المتزمتين الذين يمنعون الراغب في الخطبة من رؤية فتاته بقصد الخطبة وبين المتحللين من أعراف المجتمع والأخلاق والفضيلة والذين ينادون بالاختلاء المطلق غير المقيّد بين الخطيب وخطيبته.

(١) يؤدم بينكما: تحصل الموافقة والملائمة بينكما

ومنع الإسلام خطبة الرجل على خطبة أخيه، التي عقد الزواج عليها ، لقول الرسول(ص) :

(لايخطب أحدكم على خطبة أخيه) كما منع خطبة المعتدة، وذلك لتعلق حق الزوج بالخطوبة، ولبقاء بعض آثار الزواج في اثناء العدة بالنسبة لزوجها.

٣.الرضا :

لابدّ للزواج من أن تتوافر فيه الإرادة الكاملة والرضا التام لكل من الزوجين، فلا إكراه لأحدٍ على زواج من لا يحب، ولا سلطة لرئيس الأسرة على أفرادها بالزواج، فمتى بلغ الرجل وصار راشداً كان له الزواج من يريد، وكذلك لابد من رضا الفتاة العاقلة البالغة الراشدة بزواجها .

٤.المهر:

رفع الإسلام منزلة المرأة ولم يجعل المهر ثمناً لها، لأنّ الزوجة إنسان والإنسان أكرمهُ الله وسخر له الكون كله، فقيّمته لاتقدر بثمن، بل جعل القرآن المهر هدية لازمة يقدمها الزوج لزوجته رمز تقدير وإكرام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ النساء: ٤

وقال النبي محمد(ص): (التمس ولو خاتماً من حديد) تسهياً لأمر الزواج الذي هو اللبنة الأولى في بناء هذا المجتمع، ولئلا يكون المهر عقبة في طريق الشباب يصدهم عن الزواج، فينتج عن ذلك أضرار اجتماعية تصيب الأمة فتهدّد كيانها القويم.

٥. القوامة في الأسرة:

يشترك الزوجان في تدبير شؤون الأسرة فيتبادلان الرأي فيما يجب عمله من دون طغيان لشخصية أحدهما على الآخر ضمن حدود التشاور والتناصح، فاذا استقرّ رأيهما على أمر أخذاه به، ولكن حياة طويلة كالحياة الزوجية لاتخلو من خلاف في الرأي

حول موضوع معين فلا بدّ من وجود شخص يعدّ مسؤولاً وإلاّ سادت الفوضى وفسدت الأسرة. وقد حمّل القرآن الكريم الرجل مسؤولية أكبر في انتظام حياة الأسرة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء: ٣٤

وقوامه الرجل هذه ليست أفضلية جنسية، بل هي مسؤولية تحقّق انتظام الأسرة لقول الرسول الكريم (ص) :

(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) لكنّ العبء الأكبر من هذه المسؤولية يقع على عاتق الرجل، فالزوج هو الذي يدفع المهر ويُنفق على زوجته واولاده ويقوم على تأمين السكن والمستلزمات الأخرى في حياتهم.

٦. حسن المعاملة:

أوجب الإسلام حسن المعاملة بين افراد المجتمع عامة وأفراد الأسرة خاصة، وبين الزوجين على نحو مؤكد بنصوص من القرآن الكريم وأحاديث الرسول(ص). قال تعالى مخاطباً الأزواج:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩

وقال(ص): (خيركم خيركم لأهله). فالأسرة المسلمة ينبغي أن لاتتسم بالاستبداد في الرأي ولا الظلم في المعاملة ولا الطاعة العمياء، بل هناك حقوق وواجبات، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بل الطاعة لله، فطاعة الزوجة لزوجها ليست لشخصه بل للأوامر والقواعد والنظم التي بموجبها تمّ عقد الزواج، وحسن معاملة الزوج لزوجته ليست من قبيل المنّ أو العطف بل من قبيل القيام بالواجب.

المناقشة

- ١- اهتم القرآن الكريم لبناء الأسرة فجعلها قائمة على أسس ثابتة. ما تلك الأسس؟
- ٢- ما مقياس الاختيار في الزواج. وما آثار حسن الاختيار في نجاح الزواج أو فشله.
- ٣- المحرمات من النساء خرباً مؤبداً ثلاثة أصناف باختلاف السبب. اذكر ذلك. ومثل لكل منها.
- ٤- هل يجوز للمسلمة الزواج من غير المسلم؟
- ٥- ما الحكمة من تحريم الجمع بين الأختين؟
- ٦- ما ضوابط اللقاء بين الخطيبين .
- ٧- القوامة تكليف لاتشريف. ناقش ذلك .



الدرس الخامس: التهذيب النهي عن الغضب

قد تخرج النفس الإنسانية عن طورها ، وتتجاوز حدودها إلى ما لاحمد عقباه:فتثور وتغضب وتقع فيما هو محذور وتبتعد عن التفكير العقلاني؛ ولذلك يخطئ الغضبان في أغلب الأحيان، فيتلفظ بما لا يجوز أن يتلفظ به، ولربما يتعدى حدود الله ، فتبطلش يداه، أو يفعل أمراً لا يجوز له فعله، وعلى هذا فالواجب على المسلم أن يسأل ربه أن يصرف عنه الغضب المذموم، وأن يصرف عنه عواقبه الرديئة، ووساوسه المهلكة. وعلى المسلم أن يأخذ بالعلاج النبوي الوارد عن رسول الله(ص) في حديث الرجل الذي قال:

(يا رسول الله أوصني فقال: لا تغضب، قال زدني. قال: لا تغضب، قال: زدني. قال: لا تغضب) فكرر له الوصية ثلاثا .

كل ذلك لما للغضب من نتائج وآثام وخيمة. فالغضب : حالة نفسية ، تبعث على هياج الإنسان، وثورته قولاً أو عملاً. وهو مفتاح الشرور، ورأس الآثام، ومفتاح الأزمات والاعطال. وقد كثرت المرويات في ذمه والتحذير منه:

قال الإمام علي (ع):

« واحذر الغضب، فإنه جند عظيم من جنود إبليس ».

وقال الإمام الصادق (ع) : «الغضب مفتاح كل شر» .

وإنما صار الغضب مفتاحاً للشرور، لما ينتج عنه من أخطار وآثام، كالاستهزاء، والتعير، والفحش، والضرب، والقتل، ونحو ذلك من المساوئ. والغضب لا يحدث عفواً واعتباطاً، وإنما ينشأ من أسباب وبواعث تجعل الإنسان، سريع التأثر، منفعللاً لايملك زمام نفسه.

قد يكون منشأ الغضب غالباً أحد الأمور الآتية:

- (١) إنحرافاً صحياً، كاعتلال الصحة العامة، أو ضعف الجهاز العصبي، مما يسبب سرعة التهيج.
- (٢) نفسياً، منبعثاً عن الاجهاد العقلي، أو الأنانية، أو الشعور بالإهانة، والاستنقاص، ونحوها من الحالات النفسية، التي سرعان ما تستفز الإنسان، وتستثير غضبه.
- (٣) أخلاقياً، كتعود الشراسة، وسرعة التهيج، مما يوجب رسوخ عادة الغضب في صاحبه.

أضرار الغضب:

للغضب أضرار جسيمة، و فادحة، تضرّ بالإنسان فرداً ومجتمعاً. جسمياً ونفسياً. مادياً وأدبياً. فكم غلبة جرحت العواطف، وشحنت النفوس بالأضغان، وفككت أوأصر التحاب والتآلف بين الناس. وكم غلبة زجت أناساً في السجون، وعرضتهم للمهالك، وكم غلبة أثارت الحروب، وسفكت الدماء، فراح ضحيتها الآلاف من الأبرياء فضلاً عما ينجم عنه من المآسي والأزمات النفسية، التي قد تؤدي إلى موت الفجأة. والغضب بعد هذا يحيل الإنسان بركاناً ثائراً، يتفجر غيظاً وشرّاً، فإذا هو وحش في صورة إنسان. فينطلق لسانه بالفحش والبذاء، وهتك الأعراض، وإذا بيديه تنبعثان بالضرب والتنكيل، وربما أفضى الغضب إلى القتل، وقد تنعكس آثار الغضب على صاحبه، فينبعث في تمزيق ثوبه، ولطم رأسه، وربما قام بأعمال جنونية. فهذا الغضب هو الغضب المذموم أمّا الغضب الممدوح فهو الذي يكون لله ودفاعاً عن العقيدة فينبع من غريزة سليمة وقيم عليا، تُلهب في الإنسان روح الحميّة والإباء، وتبعثه على التضحية والفداء، في سبيل أهدافه الرفيعة، ومُثله العليا، كالذود عن العقيدة، وصيانة الأرواح، والأموال، والكرامات.

علاج الغضب:

(١) إذا كان منشأ الغضب اعتلالاً صحياً، أو هبوطاً عصبياً مثلما هو في المرضى والشيوخ ونحاف البنية، فعلاجهم - والحالة هذه - بالوسائل الطبية، وتقوية صحتهم العامة، وتوفير دواعي الراحة النفسية والجسمية لهم، كتنظيم الغذاء، والتزام النظافة، وممارسة الرياضة الملائمة، واستنشاق الهواء الطلق، وتعاطي الاسترخاء العضلي بالتمدد على الفراش. كل ذلك مع اجتناب مرهقات النفس والجسم، كالاجهاد الفكري، والسهر المضني، والاستسلام للكآبة، ونحو ذلك من دواعي التهيج.

(٢) للغضب أسباب تستثيره، أهمها: المغالاة في الأنانية، والجدل والمراء، الاستهزاء والتعير، والمزاح الجارح. وعلاجه في هذه الحالات باجتناأ أسبابه، والابتعاد عن مثيراته قدر المستطاع فعندما تحسن التعامل مع الآخرين تباعد عن الغضب .

(٣) تذكر مساوئ الغضب وأخطاره وآثامه، وأنها تضرّ بالغاضب أولاً، وتضرّ به أكثر من المغضوب عليه، فربّ أمر تافه أثار غضبة عارمة، أودت بصحة الانسان وسعادته. يقول بعض باحثي علم النفس: دع محاولة الاقتصاص من أعدائك، فإنك بمحاولتك هذه تؤذي نفسك أكثر مما تؤذيهم... إنّنا حين نمقت أعداءنا نتيح لهم فرصة الغلبة علينا، وإنّ أعداءنا ليرقصون طرباً لو علموا كم يسببون لنا من القلق وكم يقتصّون منّا، إنّ مقتنا لا يؤذيهم، وإنّا يؤذينا نحن، ويحيل أيامنا وليالينا الى جحيم. وهكذا يجدر تذكر فضائل الحلم، وآثاره الجليلة، وأنّه باعث على إعجاب الناس وثنائهم، وكسب عواطفهم. وخير محفّز على الحلم قول الله عز وجل:

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۚ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۚ﴾

فصلت: ٣٤ - ٣٥)

(٤) تذكر إنّ سطوة الغضب ، تعرّض الغاضب لسخط الله تعالى وعقابه، وربما عرّضته لسطوة من أغضبه واقتصاصه منه في نفسه أو في ماله أو في عزيز عليه.

(٥) تذكر أنّ من الخير للغضب ضبط النفس، والسيطرة على الأعصاب والتروّي في أقواله وأفعاله عند احتدام الغضب، فذلك مما يخفّف حدّة التوتر والتهيج، ويعيده إلى الرشّد والصواب، ولا يُنال ذلك إلّا بالتصبّر والتعوّد.

قال أمير المؤمنين (ع): «إن لم تكن حليماً فتحلّم، فإنّه قلّ من تشبّه بقوم إلّا أوشك أن يكون منهم».

(٦) ومن علاج الغضب التوجه الى الله والاستعاذة به من الشيطان الرجيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
الأعراف: ٢٠٠ .

(٧) الوضوء قال (ص) : (إنّ الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) .

(٨) تغيير الحالة التي كان عليها الغضبان :

أن النبي (ص) قال : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلّا فليضطجع .

(٩) استحضر ما ورد في ثواب كظم الغيظ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
آل عمران: ١٣٤

(١٠) تذكر أن ترك الغضب من أسباب دخول الجنة جاء في رواية عن رسول الله (ص) : (لا تغضب ولك الجنة) .

(١١) السكوت ورد أن النبي (ص) قال : (إذا غضب أحدكم فليسكت) .

(١٢) أن يُروّض الإنسان نفسه على الحلم والأناة وكظم الغيظ فإنه من يتحرّى الخير يعطّه ومن يتقّ الشر يُوقّه . لذا يجب تجنّب الغضب؛ لأنّ الغضب جمرة تنقد في القلب، وتدعو إلى السطوة والانتقام والتشفي. فإذا ما ضبط الإنسان نفسه عند الغضب، وكبح جماحها عند اشتداد ثورته، فإنه يحفظ لنفسه عزتها وكرامتها، وينأى بها عن ذلّ الاعتذار ومغبّة الندم، ومذمّة الإنتقام.

الغضب ينقسم على قسمين :

القسم الأول : مذموم ، وهو الغضب الدنيوي الذي حذرنا منه النبي (ص) كما ذكرنا سابقاً .

القسم الثاني : محمود ، وهو ما كان غضباً لله وللحق . إذ يُستحبُّ الغضب إذا انتهكت حرمة الله تعالى؛ لأن ذلك من تعظيم حرمة الله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ ﴾

الحج: ٣٠

اكتساب كظم الغيظ

ويستطيع الإنسان أن يكتسب فضيلة كظم الغيظ حتى يصير من صفاته ذلك بشيئين : أحدهما : ترويض النفس على الخير ، فإن النفس إذا روضتها على الخير اكتسبت هذا الخلق وصار من صفاتها. فإنه من يتحرى الخير يعطه بنص السنة الصحيحة. والآخر الصدق : فإن الله تعالى إذا أطلع على قلبك ورأى منك الصدق أوصلك إلى ما تصبو إليه .

المناقشة

١. ما بواعث الغضب ؟
٢. ما علاج الغضب ؟
٣. ما الغضب المحمود؟ وما الغضب المذموم؟
٤. كيف يكتسب الإنسان فضيلة كظم الغيظ ؟
- ٥- ما أضرار الغضب؟

الوحدة الثانية
الدرس الأول : من القرآن الكريم
من سورة آل عمران : الآيات من (٩٠-٩٧)
آيات الحفظ (٩٠-٩٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تَقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ۝٩٠ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ۚ ﴿٩١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩٢﴾ لَن نَّأْلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٣﴾ ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ۚ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٩٤ ﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٥﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۚ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

صدق الله العلي العظيم



معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الكفر	ضد الإيمان، ومنه الجحود لله تعالى والتكذيب برسوله وما جاء به من الدين والشرع.
بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ	أي: ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر.
الضَّالُّونَ	المخطئون طريق الهدى.
مِلْءُ الْأَرْضِ	ما يملأها من الذهب.
وَلَوْ افْتَدَى بِهِ	ولو قَدَّم فداء لنفسه من النار ما قبل منه.
تناالوا الشيء	نال الشيء حَصَلَ عَلَيْهِ.
الْبَرِّ	مَا يَكُونُ بِهِ الْإِنْسَانُ بَارًّا وَهُوَ الْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ .

المعنى العام

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ۝٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۚ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ۝٩١﴾ آل عمران: ٩٠ - ٩١

إن قبول التَّوْبَةِ مُشْرُوطٌ بِالْإِيْمَانِ ، فَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ، وَيَزْدَادُونَ فِي كُفْرِهِمْ طُغْيَانًا وَفَسَادًا ، وَإِيْدَاءً لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَيَسْتَمِرُّونَ فِي ذَلِكَ حَتَّى مَاتَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَوْبَةً خَالِصَةً ، وَهُوَ لَاءِ

هُم أَهْلُ الضَّلَالَةِ . إن الذين جحدوا نبوة محمد (ص). وماتوا على الكفر بالله ورسوله. لن يقبل من أحدهم فدية . ولو افتدى بملء الأرض ذهباً ، ولهم عذاب مؤلم موجد . ومالهم من أحد ينقذهم من عذاب الله .

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٩٢ آل عمران: ٩٢

لن تنالوا أيها المؤمنون الخيرَ والجَنَّةَ حتى تنفقوا في سبيلِ الله مِنْ أَحَبِّ أَمْوَالِكُمْ إليكم . والله يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ رَبِّهِ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٩٣ ﴿فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٩٤ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٩٥

آل عمران: ٩٣ - ٩٥

كُلُّ الْأَطْعَمَةِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ حَلَالًا لِأَبْنَاءِ يَعْقُوبَ ، إِلَّا مَا حَرَّمَهُ يَعْقُوبَ عَلَى نَفْسِهِ لمرض نزل به . وذلك قبل نزول التوراة . فلما نزلت التوراة . حرَّم الله على بني إسرائيل بعض الأطعمة التي كانت حلالاً لهم بسبب ظلمهم وبغيهم . فقل لهم- أيها الرسول- هاتوا التوراة . واقرووها عليّ إن كنتم صادقين في ادّعاءكم أنّ الله أنزل فيها حرّم ما حرّمه يعقوب على نفسه . حتى تعلموا صدق ما جاء في القرآن . فمن كذب على الله من بعد قراءة التوراة . ووضوح الحقيقة . فأولئك هم الظالمون القائلون على الله الباطل .

قل لهم- أيها الرسول- صدق الله فيما أخبر به . وفيما شرعه . ولذلك اتبعوا ملة الإسلام التي هي ملة إبراهيم (ع) فهي الحق الذي لا شك فيه . وما كان إبراهيم (ع) من المشركين بالله في عقيدة وعبادة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ آل عمران: ٩٦-٩٧

أول بيت بني لعبادة الله في الأرض هو بيت الله الحرام الذي في (مكة)، وهذا البيت مبارك تضاعف فيه الحسنات، لمن قصده لأداء الحج والعمرة، وهو مصدر الهداية والنور لأهل الأرض؛ لأنه قبلتهم.

أبرز ما ترشد إليه الآيات:

١. الله لا يقبل توبة الذين كفروا بعد إيمانهم، واستمروا على الكفر، فهم قد ضلّوا السبيل، وخرجوا عن نهج الحق إلى طريق الضلال.
٢. من أراد الخير ودخول الجنة، فعليه أن يتصدّق في سبيل الله عن أفضل أمواله.
٣. من لا يتصدق من أفضل أمواله، لا يدخل الجنة.
٤. لقد صدق الله - سبحانه - في كلّ ما أوحى إلى محمد (ص)، وفي كلّ ما أخبر، لذلك عليكم أن تتبعوا ملّة الإسلام، ملّة إبراهيم - عليه السلام - التي شرعها الله على لسان محمد (ص) فإنها الحق الذي لا شكّ فيه.
٥. أول بيت بني في الأرض لعبادة الله هو المسجد الحرام الذي هو بمكة.

المناقشة:

١. هناك سلسلة من العقوبات توقع بالذين كفروا بعد إيمانهم. دلّنا عليها.
٢. المسجد الحرام في مكة المكرمة أول مسجد مبارك تضاعفت فيه الحسنات. وهناك مسجد آخر بارك الله ما حوله بأنواع البركات الحسية والمعنوية. ماذا تعرف عن هذا المسجد الآخر. وما معنى البركات الحسيّة والمعنوية التي خصّ بها ما حول هذا المسجد.
٣. اكتب مقالة قصيرة لاتزيد على صفحة واحدة عن نبي الله إبراهيم (ع)

الدرس الثاني: من قصص القرآن السيدة مريم بنت عمران (ع)

أبوها : عمران كان إمام قومه.

أمها : حنة خالة نبي الله يحيى (ع) وهي من العابدات الصالحات. مضت سنوات على زواج حنة من عمران ولم ترزق مولوداً و يروى أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى عمران أَنَّهُ سَيُهَبِّه وَلِداً مباركاً يَشْفِي المَرَضَى المَيُوءَسَ من شَفَائِهِم ، ويحيى الموتى بإِذنِ اللَّهِ ، وسوف يرسله اللَّهُ نبيا إلى بني إسرائيل . فأخبر عمران زوجته حنة بذلك . فلما حملت ظنّت أن ما تحمله في بطنها هو الابن الموعود. دون أن تعلم أن ما في بطنها أم الابن الموعود مريم فنذرت ما في بطنها محرراً للخدمة في بيت الله « بيت المقدس » فلما ولدتها أنثى . قالت متحسرة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

آل عمران: ٣٦

لقد خسرت كون وليدتها أنثى . لأن الأنثى سعيها أضعف في الخدمة في بيت الله . والله أعلم بما وضعت فهو الذي خلقها وصوّرها . ثم استأنفت قائلة و إنني سميتها (مريم) وهي بلغتهم العابدة والخادمة ودعت (حنة) الله تعالى ان يُجنب (مريم) وذريتها الشيطان الرجيم .

لقد تنافس الأخبار على تولي مريم ورعايتها : لأنها كانت بنت إمامهم عمران فقد جاءت أم مريم بوليدتها إلى المسجد وكان عمران قد مات . وقالت أم مريم للأخبار: دونكم النذيرة . فقال لهم زكريا : أنا أحق بها. لأن خالتها عندي . فقال الأخبار : نقترع عليها . فتكون عند من يخرج سهمه . فخرج سهم زكريا . فتولى زكريا رعاية مريم وكفالتها. وكان زكريا من ولد سليمان بن داود ورأس الأخبار ونبیهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّى لَّكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٣٧ آل عمران:

أي تقبل الله تعالى النذر بأن تكون خادمة للمعبد وهذا لم يحدث لأنشى من قبل و جعل نشوءها نشوءاً حسناً وهو دليل على تكامل مريم أخلاقيا وروحيا. وكلما شبت وتقدم بها العمر ظهرت آثار العظمة والجلال عليها. وكانت مريم أفضل النساء في وقتها وأجلهن ، فعن رسول الله (ص) قال: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد .

كبرت مريم تحت رعاية زكريا ، وكانت غارقة في التعبّد . إذ يقول ابن عباس - إنها عندما بلغت التاسعة من عمرها كانت تصوم النهار وتقوم الليل بالعبادة ، وكانت على درجة كبيرة من التقوى ومعرفة الله حتى أنها فاقت الأخبار والعلماء في زمانها وبنى لها محراباً في المسجد ، وكان يأتيها بطعامها وشرابها كلّ يوم. لكن زكريا (ع) كلما دخل عليها وجد عندها فاكهة في غير حينها ، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف ، غضة طرية قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّى لَّكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٣٧ آل عمران:

وكان زكريا (ع) يقول لها: من أين لك هذا ؟ كالمتعجب منه. قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

ولادة عيسى (عليه السلام)

اصطفى الله تعالى الصديقة الطاهرة مريم لتحمل آيته ومعجزته وتلد نبيه عيسى

(ع) من غير أب فكان مثله كمثله آدم (ع) خلقه من تراب وقال له كن فيكون
 قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ﴾ ٥٩ آل عمران:

وقد بينت سورة مريم تفاصيل هذه الحادثة العجيبة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٦
 فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧
 قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٨ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
 زَكِيًّا ١٩ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ٢٠ قَالَ
 كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلُكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا
 مَقْضِيًّا ٢١ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ
 إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ٢٣ فَنَادَاهَا
 مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤ وَهَزَى إِلَيْكِ جِذْعُ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ
 عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ٢٥ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
 إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦﴾ مريم: ١٦ - ٢٦

فقد خرجت مريم من المحراب يوماً لبعض شؤونها « وانتبذت » أي انفردت وحدها

شرقي المسجد الأقصى إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل (ع) فتمثل لها بشراً
 سوياً فلما رآته استعاذت بالله منه كي لا يتعرض لها بسوء.

فخاطبها الملك قائلا: إنما أنا رسول ربك ، أي لست ببشر ولكني مَلَكٌ بعثني الله إليك لأهب لك ولداً زكياً . قالت كيف يكون لي غلام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴾ (٢٠) مريم: ٢٠

أي ولست ذات زوج وما أنا من يفعل الفاحشة ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ مريم: ٢١

أي فأجابها الملك عن تعجبها من ولادة ولد منها والحالة هذه قائلا: ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ أي: وعد أنه سيولد منك غلام وأنت عذراء طاهرة، وهذا يسير على الله فإنه على ما يشاء قدير :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ مريم: ٢١

أي: ولنجعل خلقه والحالة هذه دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق، فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾ مريم: ٢١

أي نرحم به العباد بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره في طفولته وكهولته ، بأن يفردوا الله بالعبادة وحده لا شريك له وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد والشركاء . فنفخ الملك وحملت بولدها ، فابتعدت عن الناس، لأنها لما حملت، ضاقت به ذرعا ، وعلمت أن كثيرا من الناس سيتهمها بالفاحشة وهي التقية النقية ، وقيل إنها لما ظهرت عليها أعراض الحمل كان أول من تنبّه لذلك رجل من عباد بني إسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب النجار ، وكان ابن خالها فجعل يتعجب من ذلك عجباً شديداً ، وذلك لما يعلم من ديانتها ونزاهتها وعبادتها وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوج ، فتعرض لها ذات يوم في الكلام فقال : يا مريم هل يكون زرع من غير بذر ؟ قالت : نعم ، فمن خلق الزرع الأول ؟ ثم قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى . قال لها : فأخبريني خبرك . فقالت : إن الله بشّرني.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ ۝ آل عمران: ٤٥ - ٤٦

توارت مريم عن القوم واعتزلتهم وانفردت في مكان متطرف . فاضطرها الطلق إلى

اللجوء الى جذع النخلة . قال تعالى على لسان مريم (ع):

﴿ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ ۝ مريم: ٢٣
وذلك أنها علمت أن الناس سيتهمونها ولا يصدقونها بل يكذبونها حين تأتيهم
بغلام على يدها . وهي عندهم من العابدات الناسكات المنقطعات إلى المسجد
المعتكفات فيه . ومن بيت النبوة والديانة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمت
أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال أو كانت لم تُخلق أصلاً فنادها أي جبريل (ع) إذ .
قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَئِذَا
إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا
تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا
﴿٢٦﴾ ۝ مريم: ٢٤ - ٢٦

فهياً الله تعالى لها الشراب والمغتسل وتلك النخلة اليابسة اثمرت بمشيئته

لتمنحها أفضل غذاء وهو الرطب ولهذا

« قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۝ مريم: ٢٦
وقال سبحانه: ﴿ فَإِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ
أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ ۝ مريم: ٢٦
أي فإن رأيت أحدا من الناس « فقولي » له أي بالإشارة ما حكاه قوله تعالى:
﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ۝ مريم: ٢٦

أي صمتا ، وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام. ويدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۖ ﴾ مريم: ٢٦

فعيّرهما الناس. وقالوا لها: لقد جئت بأمر عظيم مع أنك من بيت طاهر فأشارت حينها إلى الرضيع ليجيبهم، فقالوا لها: أتسخرين منا. كيف نكلّم طفلاً وليداً لا يفقه شيئاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۖ ﴾ ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ ﴿ ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ ﴾ ٣١ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ ﴿ ٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ﴾ ٣٣ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۖ ﴾ ٣٥ مريم: ٢٩ - ٣٥

قلق الناس واضطربوا من إشارة مريم (ع) إلى الوليد، بل وربما غضبوا إلا أن هذه الحالة لم تدم طويلاً ، فظهرت أولى معجزات عيسى (ع): لأن ذلك الطفل الذي ولد حديثاً قد فتح فمه وتكلم مدافعاً عن أمّه مبطلا دعوى المسيئين إليها ، ولا يخفى أن أيّ طفل حديث الولادة لا يتكلم في الساعات أو الأيام الأولى لولادته كما هو متعارف عليه ، و غاية ما في الأمر أنه خارق للعادة ، وكلّ المعجزات تتصف بهذه الصفة ، أي أنها جميعاً خارقة للعادة بمشيئة الله وقدرته . فلما تكلم الوليد ذكر سبع صفات فقال :

١ - انه « عبد الله » وذكرها في بداية كل الصفات إشارة إلى أن أعلى مقام يصله

الإنسان هو مقام العبودية لله وهو إقرار بالعبودية لله ونفي للربوبية عن نفسه كما ادعى النصارى.

٢- انه صاحب كتاب سماوي « الانجيل » وله مقام النبوة . فهو نبي مرسل.

٣- انه مبارك أي مفيد لوضع المجتمع هادي له . وفي حديث عن الإمام الصادق (ع) نقرأ أن معنى المبارك : (النفع) أي كثير المنفعة .

٤ - ثم ذكرت الآيات كونه « باراً بأمه »

٥ - انه (لم يكن جباراً شقياً) بل كان متواضعاً ، عارفاً بالحق .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ ﴿ ٣٢ ﴾ مريم: ٣٢

كلمة (جبار) تطلق على الشخص الذي يعتقد بأن له كل الحق على الناس ولا يعتقد بأن لأحد عليه حقا . وكذلك يطلقونها على الذي يضرب الناس ويقتلهم إذا غضب . ولا يتبع ما يأمر به العقل ، أو أنه يريد أن يسدّ نقصه ويغطيه بادعاء العظمة والتكبر . وهذه كلها صفات بارزة للطواغيت المستكبرين في كل زمان . ولم يجعلني جبارا شقيا و (الشقي) يقال للشخص الذي يهيئ أسباب البلاء والعقاب لنفسه .

٦ - تأكيده وصية الله سبحانه بالصلاة والزكاة ، وذلك للأهمية الفائقة لهذين الأمرين ، لأنهما رمز ارتباط الخلق بالخالق .

وأما الدعاء الذي دعاه لنفسه ، ويرجوه من ربه في بداية عمره ، فهو أن يجعل هذه الأيام الثلاثة سلاماً عليه : يوم الولادة ، ويوم الموت ، واليوم الذي يبعث فيه ، وأن يمنّ عليه في هذه المراحل الثلاثة بالشعور بالأمن والطمأنينة .

ابرز ما يستنبط من السيرة

- ١- علوّ منزلة الأم ، فعلى الرغم من أن المسيح (ع) قد ولد بأمر الله النافذ من عذراء بلا زوج ، دلّت الآيات ، ضمنياً على ، أن هذا الطفل الصغير - الذي نطق بالإعجاز - أكّد ضرورة البرّ بالأم .
- ٢- أن أولى معجزات السيد المسيح تكلمه في المهد . وقد اقترنت دعوته بمعجزات كثيرة منها أنه يبرئ الأكهم والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله .
- ٣ - إنّ الله تعالى وهب عيسى (ع) وسيلتين لهداية الناس هما العلم والحكمة وأيّده بالمعجزات التي تثبت صدق دعوته .

المناقشة

١. تحدث عن ولادة السيدة مريم (ع) وكيف تنافس الكهنة لتولي رعايتها؟ ومن الذي تولى كفالتها؟ وكيف؟
٢. صف عبادة مريم (ع) .
٣. هيا الله تعالى لمريم (ع) أمورا عندما جاءها المخاض ، ماهي؟
٤. ماوجه الشبه بين آدم (ع) وعيسى (ع)؟
٥. في خلق عيسى (ع) بيان لكمال خلق الله وتنوع قدراته . بين ذلك .
٦. لماذا تمت السيدة مريم (ع) لو أنها لم تخلق أو أنها ماتت؟
٧. كيف واجه الناس السيدة مريم (ع) وهي تحمل مولودها؟ ومن هو الذي تولى تزكيتها والشهادة لها بالطهر والعفاف؟

الدرس الثالث: من الحديث النبوي الشريف ((الناجون يوم القيامة))

للشرح والحفظ

قال النبي (ص): (سبعة يُظْلَهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ .
وَشَابُّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ . وَرَجُلَانِ تَحَابَّا
فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ . وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَنِ وَجَمَالٍ فَقَالَتْ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ
بِمِينِهِ . وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ) . صدق رسول الله (ص)

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
يُظْلَهُمُ	يحميهم ويحفظهم من أهوال يوم القيامة .
ظِلُّ اللَّهِ	كرامته وحمايته ورحمته .
نَشَأٌ في عِبَادَةِ رَبِّهِ	ابتدأ منذ صغره في عبادة الله تعالى
رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ	محب لبيوت الله وتأدية الصلاة فيها ومداوم على العبادة في رحابها .
تَحَابَّا في اللَّهِ	أحبَّ كل منهما الآخر لصلاحه وتقواه وكانت صداقتهما خالصة لله . لا لغرض دنيوي .
فَاضَتْ عَيْنَاهُ	بكى خشية من التقصير في حقوق الله وشوقاً إلى رحمته .

شرح الحديث

هذه أمثلة سامية من المؤمنين الصالحين الذين يستظلون بظل الله يوم القيامة فيشملهم سبحانه بعطفة ورحمته في ذلك اليوم الم هول الذي سماه القرآن الكريم يوم الفزع الأكبر ووصفه الله تعالى بقوله :

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ
شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ الحج: ١ - ٢

وإذ الناس في غمرة الفزع والرعب والخوف من أهوال يوم القيامة، إذا بالله تعالى يمن على سبعة أصناف من الناس، فيؤمنهم من الخوف والرعب ويذهب عنهم الفزع والروع؛ ذلك لأنهم كانوا يخشون الله ويطيعونه ولم تلهم سفاسف الحياة ومغرياتهما عن الطاعة وهؤلاء السبعة هم:

١ - الإمام العادل:

والمراد به الحاكم العادل ومن ولي شيئاً من أمور المسلمين فلم يغرّه السلطان بالاستبداد والظلم، بل أطاع الله ووجه سلطانه وقوته وجهه إلى العدل فلم يغمط حقاً ولم يفرق بين رعيته في المعاملة لهوى أو قرابة أو صداقة.. أو غير ذلك ملتزماً بقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ
الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ النساء: ١٣٥

وعدل الحاكم يؤثر في الرعية فتشيع الطمأنينة بين الناس ويسود العدل وتنتهي الفوضى وتسود المصلحة العامة.

٢- الشاب الذي شبَّ وأستمرَّ على طاعة الله:

وهو الشاب المتديّن المطيع لله والفاعل لكل خير والمتحكّم في نزواته الضابط لنفسه الكابح لجماحها وشرورها وشهواتها. الذي يكفّ نفسه عن الهوى والمعاصي وينتظر من الله تعالى الجزاء الأوفى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤١) النازعات: ٤٠ - ٤١.

فهذا الشاب يقضي شبابه ونشاطه في عبادة الله تعالى وطاعته. تاركاً نزوات النفس التي جَرَّ صاحبها نحو الجموح والطيش والمعاصي. لكن الإيمان أقوى وهو وحده القادر على صرف النفس إلى الخير والرشد. وتلك هي مجاهدة النفس ووضعها على طريق الاستقامة، وهذا هو الجهاد الحق. وهو خير الجهاد وقد اسماء الرسول (ص) بالجهاد الأكبر. « فقد قال لسرية بعد رجوعها من الجهاد : مرحباً بكم قضاة الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر. قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: (ص) جهاد النفس»

٣- المؤمن من المعلق قلبه بالمساجد:

فالرجل الذي تعلّق قلبه بحبّ بيوت الله يتنسّم فيها عبير السعادة والأمان يداوم فيها على عبادة الله لا شكّ أنّ مثل هذا الرجل طاهر القلب عامر النفس بالإيمان. سامي الروح يزور الله تعالى في بيوته. ويعمرها بالذكر فيُنَاجي الله سبحانه في رحابها ويلتقي فيها بإخوانه المصلّين. وهم يؤدّون معاً صلاة الجماعة ويتخذون من هذا اللقاء فرصة للتشاور والتناصح والتعاطف والتعارف ودفع الضرر ومساعدة المحتاجين وإصلاح ذات البين ونشر قيم الإسلام في التسامح والأخوة والرحمة والسلام. وبذلك يكون إعمار المساجد بأعمال الخير إلى جانب إعمارها والاسهام في بنائها.. وقد حثّ القرآن الكريم المؤمنين على التعلّد في المساجد :

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ، فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ تَحْرُجُهُ وَلَا يُبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ

الزَّكَاةَ يُخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ النور: ٣٦ - ٣٧

٤ - المتحابان في الله:

وهما الصديقان اللذان صداقتهما قائمة على أساس التقوى. وقرب كل منهما لله فأحب كل منهما الآخر لصلاحه وتقواه قائمة لله حبا حقيقيا لا ظاهرا فقط . فابتعدا عن صداقة الغايات والمصالح الذاتية وعن صداقة النفاق والرياء.

وهذا النوع من الصداقة هو أسمى أنواع الصحبة ويسمى بالأخوة في الله وهي مصدر الخير والاتحاد والتعاون وكل ما فيه نفع للمجتمع. فصداقتهما هذه تدوم على المحبة ولا تُقطع لعارض دنيوي؛ لأن الإيمان الذي يربط قلوبهما معاً إيمان صادق. وهذا ما أراد الله سبحانه بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات: ١٠

ولا يفرق بين مثل هذين الصديقين إلا الموت.

٥ - المؤمن العفيف:

المؤمن يتغلب على كل صور الإغراء المحرمة ومظاهرها. وان قويت الدوافع إليها. وذلك بتقواه وترفعه عن الأثم فيتحكم بنفسه في هذا الموقف العنيف فيتغلب خوف الله وخشيته على شهوته اذا ما راودته امرأة تمتلك كل وسائل الترغيب كالجمال والجمال والمنصب. وهنا يجب أن تظهر قوة إيمان المؤمن ومقدار خشيته لله وحرصه على ألا يضيع إيمانه إذ إن الزنى والإيمان على طرفي نقيض. وكذلك المنكرات الأخرى قال رسول الله (ص) : (لا يزني الزاني حين يزني. وهو مؤمن. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن. ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن). والمؤمن إذ يتخذ هذا الموقف ويرفض الإغراء والغواية. إنما يفترق بالنبى يوسف (ع) الذي راودته امرأة عزيز مصر عن نفسه. ولكن رفض السقوط في الإثم. وفضل السجن على ذلك فقال ما حكاه قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ يوسف: ٣٣

وهذا هو شأن المؤمن في كلِّ زمان، وهذا الخلق بالتأكيد هو العفاف والخشية من الله في أروع صورها. وإذا أحاطت بالمؤمن المغريات، ونازعته نفسه فليتذكر أن الله تعالى أعدَّ للمؤمنين الصابرين المتعافين من النعيم الدائم والسعادة الخالدة ما يتضاءل أمامه متاع الدنيا الفانية، وفي العفة صيانة للنفس من مهالك الأمراض وعارها كالإيدز وغيره من الأمراض الناجمة من اقتراف الحرام فقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمراض عقوبة عاجلة في الدنيا، وهناك عقوبة آجلة في الآخرة.

٦- المؤمن المتصدق:

وهو الرجل الذي يتصدق وينفق ماله لوجه الله، وفي سبيله، في خفاء تام سترًا على الآخذ، وببالغ في إخفاء الصدقة حتى لاتعلم شماله مع قريبها من يمينه ما أنفقت اليمين، بدافع العطف على المسكين والرغبة في تفريج كربة المكروب، بعيداً عن المنّ والرياء أو الشهرة، وبعيداً عن المنافع الدنيوية.

٧- المؤمن الخاشع:

وهو الذي ذكر الله سبحانه وتعالى بقلبه، ولسانه مؤمناً بجلاله، وعظمته وشدة عذابه، وسعة رحمته، فانهمرت دموعه خشية من التقصير في حقّه، وشوقاً إلى سحائب رحمته.. ومن كانت عنده هذه السجية بما تتضمن من رقة القلب وصفاء النفس، وحبّ الله، فهو بلا شك رجل خير لا يُنتظر منه إلاّ الخير والصالح والنفع العام.

أهم ما يرشد إليه الحديث الشريف

١. التزام العدل بين الناس فعلى كلِّ مسلم ومسلمة (وخاصة كلِّ حاكم ومسؤول) أن يعدل بين الناس، ففي العدل كلُّ الخير وفيه الطمأنينة والحياة الهادئة السعيدة.
٢. (رأس الحكمة مخافة الله)، فالخوف من الله دليل الإيمان الصحيح ومخافة الله تقي الإنسان من الوقوع في المحرمات.

٣. (الصلاة عمود الدين) وبها يكون صلاح الفرد ذاتياً. فعلى المسلمين تنشئة الأبناء تنشئة دينية ملتزمة نابعة من روح الإسلام البعيد عن التطرف، وأن يعمرُوا مساجد الله بالذكر والتناصح وفعل الخيرات ونشر السلام بين الناس.

٤. وجوب اختيار الأصدقاء الصالحين والابتعاد عن رفاق السوء، وخير الأصحاب مَنْ كان يَحِبُّكَ في الله، وينصحك لما يُرضي الله، فهذه هي الصداقة الحقة البعيدة عن المصالح والغايات.

٥. وجوب التزام العفة والتمسك بالخلق المتين متمثلاً بقوة الإرادة في كبح جماح الشهوات، من خلال استذكار العواقب الوخيمة الناجمة عن الابتعاد عن العفة؛ لذا يجب الإخلاص لله في السر والعلن، والرغبة في عمل الخير والعطف على المحتاجين والابتعاد عن مسار الشيطان، فهذه هي الخصال الفاضلة التي أرادها الإسلام لنا.

المناقشة

١. ما مواصفات الحاكم والمسؤول العادل؟
٢. أسمى أنواع الصحبة المتحابان في الله، فمن هما؟
٣. المؤمن يتغلب على صور الإغراء المحرمة وان قويت الدوافع إليها. ومن قدوتنا في ذلك؟
٤. إعمار المساجد لا يقتصر على البناء وضح كيف يكون ذلك؟
٥. ما الذي يجب مراعاته عند اختيار الأصدقاء؟
٦. ما أثر مخافة الله في سلوك الفرد؟
٧. ما آداب الصدقة.
٨. ما الذي أَعَدَّه الله تعالى للمؤمنين المتعافين؟ وما الذي وعده لمن يقتترف المحرمات؟

الدرس الرابع: آبحاث حقوق الزوجين وواجباتهما

الزواج عقد وثيق وشراكة مهمة يبارك الله فيها ويرعاها. ويريد لها ان تبقى وتدوم. ولذلك فصل في حقوق الزوجين وبين واجبات كل منهما. كي لا يعكر صفو الحياة الزوجية معكر أو ينقض هذا الرباط الإنساني ناقض. فما هذه الحقوق والواجبات؟

أ. حقوق الزوجة:

١. **المهر:** وقد تقدم ذكره وهو حق خالص للمرأة لا يجوز لأحد ان يأخذه الا برضاها.
٢. **النفقة :** على الزوج أن ينفق على زوجته وان كانت غنية. وفي مقابل ذلك يكون هو القيم على البيت ومن فيه.

يقول الرسول(ص): ((اتقوا الله في النساء فانهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله... ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف)). لكن المرأة إذا تمردت على زوجها فلم تطعه أو تسمع له. وتركت بيته ، فعند ذلك تسقط نفقتها لأنها لم تقم بواجبها الزوجي فلا تستحق النفقة. وإذا عجز الزوج عن الإنفاق كان لها ان ترفع أمرها إلى القاضي الشرعي للنظر فيه.

٣. **حُسن معاملة المرأة:** إن حقوق المرأة ومتطلباتها. ليست مادية فقط بل هناك حاجات نفسية أخرى. فعلى الزوج أن يتلطف بزوجته ويدخل السرور عليها. وقد كان الرسول(ص) يعامل زوجاته أفضل معاملة.

والمرأة إنسان يُصيب ويُخطئ ويُحسن ويُسيئ. فعلى الرجل أن يعرف ذلك ويعاملها بالحسنى. قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيمَجَّلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء: ١٩

وقد ورد في الحديث الشريف قوله (ص): (خيركم خيركم لأهله) كما يجب على الزوج ان يحترم زوجته ويرعَ حقوقها ويحفظ كرامتها. فلا يؤذيها بقول أو فعل. ولا ينتقص أهلها ولايناديها بما تكره.

ب. حقوق الزوج :

١. الطاعة فيما لامعصية فيه لله : لما كان الرجل هو المسؤول الأول عن البيت فلا عجب من أن يكون له حق الطاعة

قَالَ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء: ٣٤
وهذه المسؤولية هي الدرجة التي ميّز بها الرجل عن المرأة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: ٢٢٨

وقوامه الرجل على المرأة أمر طبيعي لاغرابة فيه فهي تكليف على الرجل لاتشريف له. لأن الحياة الزوجية حياة اجتماعية وشركة تخص أخصّ علاقات الإنسان بغيره وعلاقة الزواج. الأصل فيها الدوام. وكل شراكة أو اجتماع لابد له من مدير يكون المرجع في حسم الخلاف لنلا تختل الشركة وتفصم العلاقة ويزول الاجتماع. والرجل أحقّ بهذه المسؤولية من المرأة عادة. وهو أضبط لعواطفه من المرأة. وهو المكلف بالإنفاق على البيت وافراده ، وليس في هذه القوامه تجاوز على المرأة فهي مبنية على المودة والرحمة والمعاملة الحسنة والحرص التام على منفعة الاثنين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم: ٢١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء: ١٩

فقوامه كهذه تقوم على المودة والرحمة والمعاشرة الحسنة لانتكون استبدادية ولا مكروهة ولا ثقيلة على النفس بل تكون مقبولة مرضية.

٢. أن تحفظه في نفسها وماله قال (ص) : (.. والمرأة راعية في بيت زوجها وهي المسؤولة عن رعايتها...) ومن الحفظ أن تصون نفسها عن الشبهات وأن تحفظ عرضه وتحفظ أسرارها ، ولا تسمح بدخول بيته لمن يكرهه، ولا تخرج من بيته إلا بأذنه، ومن الحفظ عدم الاسراف وتبذير أمواله، وأن لا ترضع طفلاً من غير أطفالها الا بأذنه .

٣. معاونة زوجها بالمعروف: لأنها شريكة حياته ومن أقرب الناس إليه والنعاون أساس السعادة الزوجية وسبب مهم من أسباب إدامتها فمتى شعر الزوج أن زوجته تهتم بشؤونهم وتعاونهم اعتز بها واحبها واحترمها فكانت أسرة سعيدة من غير شك.

٤. رعاية أولادهما: وهذه أهم واجبات المرأة، إذ لا يمكن أن يقوم بذلك أحد، كما تقوم به الزوجة فحنان الأم وعطفها ضرورة من ضرورات الحياة بالنسبة للطفل وهو أمر لا يمكن أن نجده لدى دور الحضانة والمربيات وغيرهم.

كما ان أهم واجبات الزوجة العناية بالأولاد والاهتمام بهم فترية جيل سليم أفضل من أي عمل تقوم به المرأة مهما كبر أو عظم في نظرها، ولذلك أمر الإسلام أن يودع الصغار إلى امهاتهم عند الاختلاف بين الزوجين لأنه لا أحد في العالم كالأم بالنسبة للطفل، على ان هذا لا يمنع من أن يوكل أمر رعاية الطفل إلى غير أمه إذا اقتضت الضرورة.

تعدد الزوجات

المقصود بتعدد الزوجات أن يكون للرجل في وقت واحد أكثر من زوجة واحدة ولا بد من بيان حكمه ومن ثم بيان حكمته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمْنَىٰ فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ ۚ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ۗ﴾ النساء: ٣

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۚ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ﴾ النساء: ١٢٩

تفيد الآيتان الكريمتان:

أ. إباحة تعدد الزوجات إلى حدِّ الأربع.

ب. ان التعدد مشروط بالعدل بين الزوجات. فمن عَلِمَ أن لا قدرة له على العدل لم يجز له أن يتزوج بأكثر من واحدة ويقصد بالعدل الأمور المادية كالسكن واللباس والطعام والشراب وما أشبهها مما يكن فيه العدل .

ج- العدل في الحب والمساواة فيه بين النساء غير مستطاع لأنه من الأمور الوجدانية ولذلك لا يسأل الزوج عن عدم مساواته فيه بين الزوجات. ولكنه يؤاخذ إذا رتب عليه نتيجة مادية في الواقع كأن ينفق على إحداهن أكثر من الأخريات بسبب ميله إليها. وتقليل النفقة عن إحداهن بسبب قلة ميله إليها.

حكمة التعدد:

يثير خصوم الإسلام مسألة تعدد الزوجات ويحسبون أنها منقصة في الإسلام. والواقع إباحة تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية يُعدُّ من محاسنها لا من مثالبها. ومن أدلة واقعيتها وصلاحياتها للبقاء، ولتوضيح هذه المسألة التي يثير الاعداء الغبار حولها دائماً ليتخذوا منها منفذاً للطعن في الإسلام. نقول ان توضيحها يزيل الأوهام عنها ويجلي حقيقتها. ويردُّ تقولات الأعداء وتخرصاتهم. وهذا التوضيح يستلزم ذكر ما يأتي :

أ. تعدد الزوجات ليس فرضاً ولا واجباً ولا مستحباً بل درجته الإباحة. والمباح متروك أمره للإنسان إن شاء فعله وإن شاء تركه بحسب ما يراه من المصلحة له في الفعل والترك ، وعلى هذا يستطيع المسلم ألا يُعِدَّ زوجاته، ويكتفي بزوجة واحدة ولا تثريب ولا لوم عليه، وإذا وجد حاجة في التعدد فله ان يعدد. وتقدير الحاجة متروك للشخص نفسه ولولي الأمر أو من ينوب عنه حقّ التدخل ومنع الشخص من التعدد إذا لم يرَّ حاجة إليه.

ب. ومن ضروب الحاجة إلى التعدد عقم الزوجة ورغبة الزوج في إجاب الذرية وتشوقه إليها. فمن العدل أن تمكنه من الزواج الثاني، ومن حسن عقل المرأة أن تدرك حقَّ الزوج في هذا الزواج الثاني. ومن الحاجة ايضاً ابتلاء الزوجة بمرض يمنع الزوجة من أداء متطلبات الحياة الزوجية.

ولا علاج لهذه الحالة إلا بالتعدد، والتعدد أولى من الطلاق. ومن الحاجة أيضاً أن يضمَّ الزوج الكريم إلى بيته منقطعة أو يتيمة أو قريبة له وأحسن الضم وأكملها أن يتخذها زوجة. فبذلك تحيا حياة حرة وتعيش معززة مكرمة لها ما للنساء الكريمات وعليها ما عليهن .

ج. إباحة التعدد يكون هو الحل الوحيد لحالات خاصة تمرّ بالمجتمع وهي كثيرة الوقوع أو على الأقل ليست نادرة. ففي أوقات الحروب تأكل الحروب الرجال وتدع النساء وهذا هو الغالب في شأن الحرب، فإذا وضعت الحرب أوزارها برزت للمجتمع مشكلة خطيرة جداً هي كثرة النساء، وقلة الرجال ولا بدَّ من إيجاد حلٍّ لهذه المسألة لأن اقتران المرأة

بالرجل من الحاجات الأصلية للإنسان. والحل لا يكون إلا بأحد أمرين : إمّا بجعل الاتصال يقع بالحرام لتحريم التعدد. وإما بإباحة تعدد الزوجات في ظل القانون وتحريم العلاقات غير الشرعية والحل الثاني هو ما أخذت به الشريعة الإسلامية وهو أكرامُ للمرأة وانفع للمجتمع وأحفظ للشرف فأباحَت التعدد لأربع وحرمت الزنا وجميع المعاشرات غير الشرعية.

د. في التعدد إكثار للنسل، وإكثار النسل في بعض المجتمعات أمر مهم وضروري لا سبيل له إلا بإباحة تعدد الزوجات في ظل القانون وعلمه وإقراره. من هذا العرض يظهر إن إباحة التعدد في الشريعة الإسلامية يعدّ من محاسنها وبعد نظرها ووضعها الحلول والأحكام لاحتمالات المستقبل ولظروف الأفراد والجماعات التي تستلزم التعدد.

المناقشة

١. ما حقوق الزوجة؟
٢. هل يجوز لولي الأمر أخذ مهر أبنته؟
٣. متى تسقط نفقة الزوجة ؟
٤. استشهد بآية وحديث شريف على وجوب حسن معاملة الزوجة.
٥. ما حقيقة قوامة الرجل، وهل تُعدّ تكليفاً أم تشريعاً ؟ ولماذا اختص بها الرجل من دون المرأة ؟
٦. ما هي حقوق الزوج؟
٧. هل يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها من دون إذن الزوج؟
٨. كيف تحفظ الزوجة زوجها في نفسها؟

الدرس الخامس: التهذيب

((قصص وعبر))

من استغنى أغناه الله تعالى:

روي أنه : اشتد فقر رجل من أصحاب النبي (ص) فقالت له امرأته : لو أتيت رسول الله (ص) فسألته أن يعطيك ، فذهب الرجل إلى النبي (ص). فلمّا رآه النبي (ص) وقبل أن يتحدث الصحابي قال النبي (ص) :

((من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله))

فقال الرجل : ما يعني غيري . فرجع إلى امرأته فأعلمها بالذي حدث ، فقالت : إنّ رسول الله (ص) بشر فأعلمه ، فأتاه فلمّا رآه رسول الله قال (ص): من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله ، حتّى فعل الرجل ذلك ثلاثاً ، حينها ذهب الرجل فاستعار معولاً ثمّ أتى الجبل فصعده ، فقطع حطباً ثمّ جاء به ، فباعه واشترى بثمنه طعاماً ، فرجع به فأكله ، ثمّ ذهب من الغد فجاء بأكثر من ذلك ، فباعه ، فلم يزل يعمل ويجمع حتّى اشترى معولاً ، ثمّ جمع حتّى اشترى ناقتين وغلاماً ، ثمّ أثرى حتّى أيسر ، فجاء إلى النبي (ص) فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي ، فقال النبي (ص) : قلت لك : ((من سألنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله))

ابرز ما يستنبط من القصة

١. ان الله تعالى يبارك بالرزق الحلال وما كان بكسب اليد.
٢. عدم اعتماد الحلول السهلة على حساب الكرامة والعزة .
٣. من أراد العمل بشرف وعزة ، لن يستنكف البدء بأبسط الأمور مادامت بشرف وبكسب حلال .
٤. الحثّ على العمل مهما كان بسيطاً فلقمة الحلال سبب الهناء وراحة البال.
٥. الصبر والاجتهاد والعفاف سبيل الى الغنى ونماء الرزق.

المناقشة

١. وضح المراد من القصة وبيّن العبرة فيها .

٢. في العمل غنى وعزة ناقش ذلك.

العدل

كان هناك رجل نصراني قد بلغ من الكبر عتيا ، فلقد عمل طيلة شبابه ليعيش من ثمرة تعبهِ وكده ، ولكنه لم يدخر شيئا لوقت كبره . وهرمه ، ومع هرمه فقد بصره ، ولم يبقَ أمامه طريق للمعيشة سوى سؤال الناس . فمرّ خليفة المسلمين حينها (روي أنه الإمام علي (ع) فقال : من هذا ؟.. ولماذا آلت حاله إلى هكذا ؟.... ألا يوجد له ولد يتكفله ؟..... ألا يوجد له سبيل آخر تبعده عن السؤال ؟.... فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه نصراني ، ولقد كان قويا بصيرا ، و يعيش بكرامة من كدّ يديه وعرق جبينه ، والآن قد فقدَ قوته وبصره معا ، وليس عنده ما يستطيع أن يقوّت نفسه به ، فلم يبقَ له إلا السؤال . فقال الخليفة : أستمعتموه ، حتى إذا كبر وعجز منعتموه ؟! أنفقوا عليه من بيت المال.

أبرز ما يستنبط من القصة:

١. وجوب تفقد كل مسؤول أمور رعيته ومن هم بعهدته. وسدّ حاجاتهم.

٢. عدالة الإسلام توجب تحقيق العيش الكريم للجميع .

٣. رحمة الإسلام عامة تشمل حتى غير المسلمين ماداموا في دار الإسلام.

٤. التعايش السلمي بين الأديان قال تعالى :

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦

٥. التأسيس لمبدأ التقاعد وحقوق المتقاعدين.

المناقشة

١. ابحث في كتاب الله العزيز عن آية تتحدث عن الرحمة. تنافس مع زملائك بالبحث.

٢. استشهد بحديث يبين وجوب تحمل المسؤولية ؟

٣. على ماذا تدلّ القصة ؟

الوحدة الثالثة

الدرس الأول : من القرآن الكريم

من سورة النساء :

الآيات (١-١٠) ((آيات الحفظ من ١-٥))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَشْنَىٰ وَتِلْكَ وَرُبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُوْثَرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْنِلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۚ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا

دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ
 نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
 وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ
 الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا
 لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
 ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
 وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

صدق الله العلي العظيم

الكلمة	معناها
خلق منها زوجها وبثّ منهما واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب	حواء نشر من آدم وحواء أي يسأل بعضكم بعضاً فيقول أسألك بالله واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولا تستبدلوا الحرام (بأكلكم أموالهم) بالحلال من أموالكم
انه كان حوباً كبيراً وان خفتم ألا تنقسطوا في اليتامى صدقاتهن نحلة هنيئاً مريئاً السفهاء التي جعل الله لكم قياماً وابتلوا اليتامى فإن أنستم منهم رشداً وبداراً أن يكبروا القسمة ذرية ضعافاً سديداً	أن أكلها كان إثماً عظيماً ألا تعدلوا في يتامى النساء. مهورهن. عطية. طيباً حلالاً لا تبعة فيه ضعاف ، العقول، المبذرون لأموالهم أي تقوم بمعاشكم اختبروا عقولهم أبصرتم منهم صلاحاً مبادرين إلى أكلها وإنفاقها مخافة كبرهم قسمة الميراث أولاداً صغاراً جميلاً لطيفاً

المعنى العام

قَالَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾
وَعَاتُوا أَلْيَنَ أَمْوَالِكُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنَىٰ فَاذْكُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَىٰ وَتِلْكَ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا نَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَذَىٰ ۖ أَلَّا تَعْلَمُوا
﴿٣﴾ وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا
﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْنُلُوا أَلْيَنَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا ۚ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ
وَمَنْ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

يا أيها الناس خافوا الله الذي أنشأكم من نفس واحدة هي آدم (ع) وحواء (ع) ونشر منها خلائق كثيرة ذكورا وإناثا. ويا أيها الناس راقبوا الله الذي يناشد بعضكم بعضا به. حيث يقول: أسألك بالله، وأنشدك بالله، واحذروا أن تقطعوا أرحامكم. إن الله مراقب لجميع أحوالكم.

أعطوا اليتامى الذين مات آبائهم وهم دون سن البلوغ- وكنتم عليهم أوصياء أموالهم إذا وصلوا سن البلوغ. ولا تأخذوا الجيد من أموالهم، وجعلوا مكانه الرديء

من أموالكم ولا تخلطوا أموالهم بأموالكم لتحتالوا بذلك على أكل أموالهم. إنَّ من جرّأ على ذلك فقد ارتكب إثماً عظيماً.

وإن خفتهم من عدم العدل بين الزوجات، فاقترضوا على واحدة، أو على ملك اليمين، أقرب إلى عدم الجور والتعدي. وأعطوا النساء مهورهنّ عطية واجبة عن طيب نفس منكم، فإن طابت أنفسهنّ لكم عن شيء من المهر، فوهبته لكم فخذوه، وتصرفوا فيه فهو حلال طيب. ولا تعطوا- أيها الأوصياء- من يبذر من الرجال والنساء والصبيان. أموالهم فيضيعوها بسوء تدبيرهم، وأنفقوا عليهم منها، إطعاماً وإكساءً، وقلوا لهم قولاً معروفاً لينا، كقولكم لهم: إذا رشدوا سلّمنا إليكم أموالكم. واختبروا من تحت أيديكم من اليتامى عند وصولهم سن البلوغ، فإن علمتم منهم صلاحاً في دينهم، وقدرة على حفظ أموالهم، فسلموها لهم من دون تأخير، ولا تسرعوا في إنفاقها وتبذورها في غير موضعها إسرافاً في أكلها قبل أن يكبر اليتامى فيأخذوها منكم. ومن كان منكم -أيها الأوصياء- غنياً، فليكن عفيفاً ولا يأخذ من مال اليتيم شيئاً، ولا يأخذ أجراً على وصايته ومن كان فقيراً منكم- أيها الأوصياء- فليأخذ بقدر حاجته عند الضرورة، وإذا سلمتم إلى اليتامى أموالهم، بعد بلوغهم الرشد، فأشهدوا على ذلك شهوداً، ضماناً لوصول حقهم كاملاً إليهم، حتى لا ينكروا ذلك. وبكفيكم أن الله شاهد عليكم، ومحاسب لكم على ما فعلتم.

قَالَ تَعَالَى: لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا

لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ^ط وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

والمراد من ذلك ان للذكور صغاراً و كباراً نصيباً شرعه الله فيما تركه الوالدان والأقربون من المال. قليلاً كان أو كثيراً. في أنصبة محدودة واضحة فرضها الله - عز وجل - لهؤلاء. وللنساء كذلك. وإذا حضر قسمة الميراث من قرابة الميت من لاحق لهم في التركة والفقراء فأعطوهم شيئاً من هذه التركة تطيباً لخواطرهم. وقولوا لهم قولاً حسناً. وعلى من يكون وصياً على اليتامى أن يتذكر أن الله - سبحانه - يراقب من تحت أيديهم من اليتامى لذلك وجب حفظ أموالهم. وحسن تربيتهم. ودفع الأذى عنهم. وليقولوا لهم ما يقولونه لأولادهم من عبارات العطف والحنان. إن الذين يعتدون على أموال اليتامى، فيأخذونها بغير حق، إنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة، وسيدخلون ناراً هائلة مستعرة يقاسون حرها.

أبرز ما يرشد إليه النص:

١. حقوق النساء والأيتام - وبخاصة اليتيمات - وهم تحت وصاية الأولياء والأوصياء مقررة ومحفوظة كما شرعها الله سبحانه.
٢. كرامة المرأة وكيانها محفوظان. ولا يجوز العبث بحقوقها التي فرضها الله كالهر. والميراث، وإحسان العشرة.
٣. حرمة أكل أموال اليتامى ووجوب مراعاتهم.

المناقشة:

١. قررت هذه السورة حقوق النساء في الميراث والزواج. وأنصفتهنّ من ظلم الجاهلية وتقاليدها الظالمة المهينة للنساء. حدثنا عن هذا الظلم، وعن هذه التقاليد الجائرة بحق النساء.

٢. أطلق على هذه السورة تسمية: (سورة النساء). أجب عن الآتي:

أ- ما سبب هذه التسمية؟

ب. اقترح وسائل وأساليب تعتقد أنها تُسهم في رفع مكانة المرأة في مجتمعنا. وجعلها عنصراً فاعلاً. مثلما أراد ديننا الإسلامي العظيم.



الدرس الثاني: من قصص القرآن نبي الله موسى والعبد الصالح (ع)

في يوم من الأيام خطب موسى -عليه السلام- في بني إسرائيل، ووعظهم موعظة بليغة، فاضت منها العيون، ورقت لها القلوب.. ثم انصرف عائداً من حيث جاء، فتبعه رجل وسار خلفه حتى إذا اقترب منه، سأله قائلاً: يا رسول الله، هل في الأرض أعلم منك؟ قال: لا فعتب الله على موسى (ع) إذ لم يردّ العلم لله -سبحانه- فأوحى إليه أن في مجمع البحرين عبداً هو أعلم منك، فنهض موسى (ع)، وسأل ربه عن علامة يعرفه بها.

فأوحى الله إليه أن يأخذ معه في سفره حوتاً ميتاً أي (سمكة ميتة)، وفي المكان الذي ستعود الحياة فيه إلى الحوت فسيجد العبد الصالح، فأخذ موسى سمكة ميتة في وعاء، ثم انطلق لمقابلة العبد الصالح، واصطحب معه في هذه الرحلة يوشع بن نون، وكان غلاماً صغيراً.

سار موسى مع غلامه سيراً طويلاً حتى وصلا إلى صخرة كبيرة بجوار البحر، فجلسا يستريحان عندهما من أثر السفر، فوضعا رأسيهما وناما، حتى استيقظ الفتى يوشع بن نون قبل أن يستيقظ موسى، فرأى شيئاً عجيباً، رأى أن الحوت تحرك ودبت فيه الحياة، ثم سقط الحوت بجوار الشاطئ، وجاء موج البحر فحمله إلى الداخل، فلما استيقظ موسى نسي الفتى أن يخبره بما حدث وأخذا يسيران في طريقهما لمقابلة الرجل الصالح.

ومرت الساعات ومازال موسى (ع) وغلامه يسيران بجهد ونشاط لمقابلة الرجل الصالح، حتى أحسّ موسى بالجوع، فطلب من فتاه أن يحضر الحوت (السمكة)، فأخبر موسى (ع) أنه نسيه هناك عند المكان الذي جلسا فيه ليستريحا من أثر التعب، وقد أحياه الله، ثم قفز وأخذ طريقه في البحر، فأخبره موسى (ع) أن هذا هو المكان الذي يريده.

ورجع موسى (ع) وغلّامه إلى تلك الصخرة التي نسيا عندها الخوت، فوجدوا رجلاً جالساً مغطى بثوب، فأقبل عليه موسى (ع) وألقى عليه السلام، فكشف العبد الصالح الغطاء عن وجهه وقال: وهل بأرضك من سلام ياموسى؟

عجب موسى (ع) من معرفة الرجل باسمه، فسأله: ومن أعلمك باسمي؟ فقال العبد الصالح: أعلمني الذي أرسلك إليّ.

فطلب موسى (ع) من العبد الصالح الإذن له بمرافقته ليقتبس من علمه ما يرشده في حياته:

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٦٦ ﴾ قَالَ لَهُ، مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾
الكهف: ٦٦

فقال العبد الصالح: أما يكفيك أن التوراة بيدك، وأن الوحي يأتيك. يا موسى إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه. ثم قال العبد الصالح لموسى (ع) ما حكاها الله تعالى:

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿ ٦٧ ﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ،
خُبْرًا ﴿ ٦٨ ﴾ الكهف: ٦٧ - ٦٨

أي إنك لن تستطيع الصبر على أفعالي، لأنني سأقوم بأفعال لا تصبر عليها لعدم علمك بحقيقة أسبابها، فقال موسى عليه السلام ما حكاها قوله تعالى:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ ﴿ ٦٩ ﴾

فقال العبد الصالح ما حكاها الله تعالى:

﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ﴿ ٧٠ ﴾

فلا تسألني عن شيء حتى أخبرك أنا ، فوافق موسى عليه السلام على أن لا يعترض على أي شيء يفعله ، ثم انطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى مرت بهما سفينة ، فعرفوا العبد الصالح فحملوهما بلا أجر ، فلما ركبا السفينة عمد العبد الصالح الخضر (ع) إلى فأس ، فقلع لوحا من ألواح السفينة ، بعد أن أصبحت في لجة البحر قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ (٧١) الكهف: ٧١

فقال له موسى مستنكرا : أخرقت السفينة لتغرق الركاب ؟ لقد فعلت شيئا عظيما هائلا ، يروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله مكان الخرق ، ثم قال للعبد الصالح (الخضر) (ع) : قوم حملونا بغير أجر ، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهل السفينة ، لقد فعلت أمرا منكرا عظيما ! فتبسم العبد الصالح وقال لموسى (ع) ألم أقل لك أنك لا تستطيع معي صبرا ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ (٧٤) ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٥) الكهف: ٧٤ - ٧٥

ثم سارا تجاه القرية ، وفي الطريق رأى الخضر (ع) غلاما ظريفاً يلعب مع الغلمان فأقبل عليه وقتله ، فلما رأى موسى ذلك أنكر عليه ما فعل ، لأنه قتل نفسا بغير وجه حق . فذكره العبد الصالح بأنه لن يستطيع معه صبرا .

فأحس موسى (ع) أنه قد تسرع في السؤال عن سبب مقتل هذا الغلام ، فاعتذر للعبد الصالح ، ووعده أنه إن سألته عن شيء بعد ذلك فليفارقه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي ۚ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ (٧٦) الكهف: ٧٦

فقبل العبد الصالح عذر موسى (ع) في هذه المرة أيضاً. وسارا في طريقهما حتى بلغ قرية ما. فطلبوا من أهلها طعاماً فرفضوا. وبينما هما يسيران. وجدا فيها جداراً ضعيفاً مائلاً معرضاً للسقوط. فاقترب الخضر (ع) منه. وقام بإصلاحه وتقويته. فتحير موسى في أمر هذا العبد الصالح. وتعجب من سلوكه مع أولئك الذين رفضوا أن يطعموهما. وذكر العبد الصالح أنه يستحق أن يأخذ أجراً على ما فعل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (٧٧) الكهف: ٧٧

فأخبره العبد الصالح أنه لابد من أن يفارقه . وأخذ يفسر له ما حدث : فبين له أن السفينة كانت لمساكين يعملون عليها في نقل الركاب من ساحل إلى ساحل مقابل أجر زهيد. وكان هناك ملك جبار يأخذ كل سفينة صالحة من أهلها ظلماً وعدواناً. وأنه أراد أن يعييبها بكسر أحد الألواح حتى لا يأخذها ذلك الطاغية. لأنه لا يأخذ السفن التالفة. وأن الغلام الذي قتله كان أبواه مؤمنين. وكان هذا الغلام كافراً. فرأى أن قتله فيه رحمة بأبويه وحفاظاً على إيمانهما حتى لا يتابعانه على دينه. وعسى الله أن يرزقهما غلاماً غيره خيراً منه ديناً وخلقاً وأكثر منه براً.

وأن الجدار كان ملكاً لغلامين يتيمين وكان أبوهما صالحاً. وكان تحت الجدار كنز من الذهب. ولو تركه حتى يسقط لظهر هذا الكنز. ولم يستطع الغلامان لضعفهما أن يحافظا عليه. لذلك أصلح الجدار لهما حتى يكبرا ويأخذا كنزهما بسبب صلاح أبيهما . فإن صلاح الآباء تصل بركته إلى الأبناء. ثم ابتسم العبد الصالح وأخبر موسى

(ع) . بان مافعله لم يكن باجتهاده انما بأمر الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۚ ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ۝

الكهف: ٧٨ - ٨٢

اتضح لموسى (ع) من خلال مرافقته للعبد الصالح أن فوق كل ذي علم عليم مع وجوب الصبر على ما لا طاقة للعلم به.

الدروس والعبر في هذه القصة

١. العلم الكلي لله سبحانه وتعالى وان جميع الخلائق وجميع الأنبياء عليهم السلام علمهم من عند الله تعالى.

٢. الأحداث التي وردت في قصة العبد الصالح الذي اتبعه موسى (ع) ليسترشده بعلمه هي رحمة من الله تعالى لعباده الفقراء وشموله ببره ولطفه ورعايته.

المناقشة:

١. ما العبرة من أخذ موسى (ع) وفتاه حوتا ميتا في سفرهما؟
٢. لماذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى (ع) باتباع العبد الصالح وما الحكمة التي توصل اليها موسى (ع)؟
٣. لماذا كانت مخالفة موسى (ع) لأفعال العبد الصالح سريعة ومباشرة؟
٤. من هو العبد الصالح المذكور في القصة؟



الدرس الثالث: من الحديث النبوي الشريف (محاسبة النفس))

للشرح والحفظ

قال النبي (ص) :

الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ
هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي .

صدق رسول الله (ص)

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
الكيس	العاقل.
دان نفسه	حاسبها . وسيطر عليها.
عمل لما بعد الموت	عمل الأعمال الصالحة التي تنفعه في الحياة الآخرة
	بعد موته.
العاجز	ضعيف العقل والإرادة.
تمنى على الله	طلب من الله العون والفوز من غير أن يهيئ أسبابهما.

شرح الحديث

يبين لنا نبينا رسول الله (ص) أَنَّ الإنسانَ العاقلَ الحازمَ ، هو الذي يحاسبُ نفسهُ على كلِّ ما يصدرُ عنه من قولٍ . وما يقوم به من عمل في كلِّ يوم وفي كلِّ ساعة . فإذا كانت تلك الأقوال وتلك الأعمالُ صالحةً ، وفيها خيرٌ لنفسه وللآخرين ، موافقة لما أمر به الله عز وجل . وجاء به النبي الكريم (ص) استمر عليها . وان وجدها مما فيه ضررٌ وشرٌّ لنفسه أو للآخرين . ورآها مخالفة لما أمر الله تعالى . ومنافية لسنة رسوله (ص) تركها وابتعد عنها . ولم يعاودها .

فالعاقلُ هو الذي يُسخرُ أعماله في هذه الحياة لما ينفعه في الحياة الآخرة . فيلتزم أوامر الله تعالى . ويجتنب نواهيه . ويعملُ الصالحات التي ينال بها رضا الله ورحمته . ويسعى لما يحقق منفعة لنفسه وللآخرين فتجلب له الذكر الحسن بين الناس .
وانه لمن ضعف العقل أن يخالف الإنسانُ الشريعة الإسلامية ، وينقاد لشهواته غير المباحة ، التي تنتج الشرَّ والضرر لنفسه وللناس . وأن يبلغ به الغرور إلى أن يطلب من الله تعالى الخير وهو لم يُقدم عملاً صالحاً يقربه إليه سبحانه وتعالى ويتمنى على الله الأمانى وهو مقصر ومذنب .

فلا بدَّ من أن يكون للمسلم وقت يخلو فيه بنفسه فيراجعها ويحاسبها يومياً بل في كلِّ ساعة ، لينظر في أفعاله وأقواله قبل أن يحاسبها الله يوم القيامة ، فان أذنب ندم على ما صدر عنه من ذنب وعاهد الله على التوبة من الذنب واجتهد في طلب المغفرة من الله تعالى بالتقرب إليه بالطاعات من استغفار وإعطاء الصدقات وإغاثة الملهوف ، وصلة الرحم وتعاون وعبادة المرضى وإدخال السرور على قلوب المؤمنين . وغيرها من أعمال البرِّ الكثيرة ؛ ليمحو بهذه الأعمال ما اقترفه من ذنب ، إذن يجب النظر فيما قدمت أنفسنا من الزاد ليوم المعاد .

وأن لا يؤجل التوبة والاستغفار معتمداً على شبابه وصحته فذلك هو من لاعقل له . فلا تدري نفس بأي أرض تموت ولا في أي ساعة ترحل ، فالعاقل هو من جعل دار

إقامته الأبدي في الآخرة دار سعادة وهناء بحاسبته الدائمة لنفسه والتزامه أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه .

يعلمنا رسول الله (ص) في هذا الحديث الشريف:

١. أن نُحاسب أنفسنا على كل ما يصدرُ مِنّا من قولٍ وعملٍ، قبل أن يُحاسبنا غيرنا
قال رسول الله (ص):

(حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزِنوها قبل أن تُوزنوا) .

٢. أن نزن أعمالنا وأقوالنا بمقدار موافقتها للشرعة الإسلامية وبمدى ما تُقربنا من رضا الله (عزَّ وجلَّ) . وبما تجلبه هذه الأعمال والأقوال من خير لنا وللآخرين، وما نتركه من ذكرٍ حسن بين الناس .

٣. ويعلمنا أن الغايات والمطالب لاتدرك بالتمني، انما تدرك بالعمل الصالح والسعي المتواصل والصبر، ومجاهدة النفس ، واعداد مستلزمات النجاح.

المناقشة

١. مَنْ الكَيْس الذي ذكره النبي (ص)؟

٢. بماذا تدرك المطالب، وتنال الغايات؟

٣. بأي شيء نزن أعمالنا ؟

٤. كيف يكون العمل لما بعد الموت؟

٥. النفس كثيرة الشهوات كيف تكبح جماحها؟

٦. أن نكون من أهل الجنة المتنعمين بنعيمها غاية أمانينا ، فهل ندرك ذلك بالتمني؟

الدرس الرابع: أبحاث (نظرة عامة للنظام الاقتصادي في الإسلام))

مبادئ الاقتصاد الإسلامي:

- يتألف الهيكل العام للاقتصاد من ثلاثة مبادئ رئيسية ، ويمتاز بذلك عن مذهب الاقتصاد الاشتراكي والمذهب الرأسمالي في خطوطه العريضة، وهذه المبادئ هي:
- أ- مبدأ الملكية المزدوجة (الملكية ذات الأشكال المتنوعة) .
 - ب- مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود.
 - ج- مبدأ العدالة الاجتماعية.

أ- مبدأ الملكية المزدوجة:

يختلف الإسلام عن الرأسمالية والاشتراكية في نوع الملكية التي يقرها اختلافاً جوهرياً، فالمجتمع الرأسمالي يؤمن بالملكية الخاصة، قاعدة عامة، فهو يسمح للأفراد بالملكية الخاصة لمختلف أنواع الثروة في البلاد تبعاً لنشاطاتهم وظروفهم، ولا يعترف بالملكية العامة. والمجتمع الاشتراكي على العكس تماماً من ذلك . فإن الملكية الاشتراكية فيه هي المبدأ العام الذي يطبق على كل أنواع الثروة في البلاد. وليست الملكية الخاصة لبعض الثروات في نظره إلا شذوذاً واستثناءً، قد يعترف به أحياناً بحكم ضرورة اجتماعية قاهرة. وعلى أساس هاتين النظرتين المتعاكستين للرأسمالية والاشتراكية، يطلق اسم: (المجتمع الرأسمالي) على كل مجتمع يؤمن بالملكية الخاصة بوصفها المبدأ الوحيد، وبالنأيم بوصفه استثناءً ومعالجة لضرورة اجتماعية. كما يطلق اسم: (المجتمع الاشتراكي) على كل مجتمع يرى الملكية العامة (ملكية الدولة) هي المبدأ، ولا يعترف بالملكية الخاصة إلا في حالات استثنائية. أما المجتمع الإسلامي فلا تنطبق عليه الصفة الأساسية لكل من المجتمعين .

بل إنه يقرر الأشكال المختلفة للملكية في وقت واحد. فيضع بذلك مبدأ الملكية المزدوجة (الملكية ذات الأشكال المتنوعة). بدلا من مبدأ الشكل الواحد للملكية. الذي أخذت به الرأسمالية والاشتراكية. فهو يؤمن بالملكية الخاصة، والملكية العامة وملكية الدولة.

ولهذا كان من الخطأ أن يسمى المجتمع الإسلامي مجتمعا رأسماليا وان سمح بالملكية الخاصة لعدة من رؤوس الأموال ووسائل الانتاج. لأن الملكية الخاصة عنده ليست هي القاعدة العامة. ومن الخطأ أن نطلق على المجتمع الإسلامي اسم المجتمع الاشتراكي. وان أخذ بمبدأ الملكية العامة. وملكية الدولة في بعض الثروات ورؤوس الأموال.

ولا يعني هذا أن الإسلام مزج بين المذهبين: الرأسمالي والاشتراكي. ، وانما يعبر ذلك التنوع في أشكال الملكية عن أصالة أسس الاقتصاد الإسلامي. النابعة من مجموعة القيم والمفاهيم الإسلامية. التي تناقض الأسس والقواعد والقيم والمفاهيم التي قامت عليها الرأسمالية الحرة والاشتراكية الماركسية.

وإن ما يثبت صحة الاقتصاد الإسلامي باتباعه مبدأ الملكية المزدوجة. مانلاحظه من واقع التجريبتين الرأسمالية والاشتراكية. فإنّ كلتا التجريبتين اضطررتا الى الاعتراف بالشكل الآخر للملكية الذي اتبعته .

ب- مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود:

وهو المبدأ الثاني من مبادئ الاقتصاد الاسلامي . إذ يسمح للأفراد على الصعيد الاقتصادي بحرية محدودة. بحدود من القيم المعنوية والخلقية التي يؤمن بها الاسلام. وفي هذا الركن نجد أيضا الاختلاف البارز بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الرأسمالي والاشتراكي. يمارس الأفراد حريات غير محدودة في ظل الاقتصاد الرأسمالي.

وبينما يصادر الاقتصاد الاشتراكي حريات الجميع. في حين يقف الإسلام موقفه الذي يوافق مع طبيعته العامة. فيسمح للأفراد بممارسة حرياتهم ضمن نطاق القيم والمثل.

التي تهذب الحرية وتصلقها وتجعل منها أداة خير للإنسانية كلها. وفي المجتمع الإسلامي أطر فكرية وروحية لها قوتها المعنوية الهائلة، وتأثيرها الكبير في التكوين الذاتي للفرد المسلم فتدفعه للعمل على حفظ حقوق وحریات وأموال افراد المجتمع الإسلامي وتوجيهها توجيهاً مهذباً صالحاً. من دون أن يشعر الأفراد بسلب شيء من حريتهم، لأن التحديد نبع من واقعهم الروحي والفكري، فلا يجدون فيه كبتاً لحرياتهم، إذ تؤدي الحرية في ظل رسالتها الصحيحة. فقد كان للتحديد الذي وضعه الإسلام، دوره الإيجابي الفعال في ضمان أعمال البر والخير، التي تتمثل في إقدام الملايين من المسلمين بملء حريتهم ضمن ذلك التحديد، على دفع الزكاة وغيرها من حقوق الله، والإسهام في تحقيق مفاهيم الإسلام عن العدل الاجتماعي، ولو كان هؤلاء المسلمون يعيشون التجربة الإسلامية الكاملة، وكان مجتمعهم تجسداً كاملاً للإسلام في أفكاره وقيمه، وتعبيراً عملياً عن مفاهيمه ومثله لانتشر العدل بين الناس وسادت الرفاهية ولم تجد فقيراً معوزاً.

ج - مبدأ العدالة الاجتماعية :

المبدأ الثالث في الاقتصاد الإسلامي هو مبدأ العدالة الاجتماعية التي جسدها الإسلام، فيما زود به نظام توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي من عناصر وضمانات كالزكاة والإرث والصدقة، وبما يكفل للتوزيع قدرته على تحقيق العدالة الإسلامية، وانسجامه مع القيم التي يرتكز فيها.

صفات المذهب الاقتصادي في الإسلام:

للمذهب الاقتصادي في الإسلام صفتان أساسيتان تشعان في مختلف خطوطه وتفاصيله، وهما: الواقعية و الأخلاقية.

فالاقتصاد الإسلامي اقتصاد واقعي وأخلاقي معاً، في غايته التي يرمي الى تحقيقها وفي الطريقة التي يتخذها لذلك. فهو اقتصاد واقعي، لأنه يستهدف في قوانينه الغايات التي تنسجم مع واقع الإنسانية بطبيعتها ونوازعها وخصائصها العامة، ويحاول دائماً أن لا يرهق الإنسانية في حسابه التشريعي ولا يحلق بها في أجواء

خيالية عالية فوق طاقتها وإمكاناتها. وإنما يقيم مخططه الاقتصادي دائماً على أساس النظرة الواقعية للإنسان. ويتوخى الغايات الواقعية التي توافق تلك النظرة. فقد يلجأ لاقتصادٍ خيالي كالشيوعية مثلاً، أن يتبنى غاية غير واقعية. ويرمي إلى تحقيق إنسانية جديدة طاهرة من كل نوازع الأنانية، قادرة على توزيع الأعمال والأموال بينها من دون حاجة إلى أداة حكومية تباشر التوزيع، سليمة من كل ألوان الاختلاف أو الصراع. غير أن هذا لا يوافق مع طبيعة التشريع الإسلامي وما اتصف به من واقعية في غاياته وأهدافه بعيداً عن الانانية التي تضر بمصالح الآخرين. وهو اقتصاد أخلاقي إذ طبق العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة ومنع حصر المال في جماعة، وأنه سعى إلى رفع الحيف عن كل محتاج.*

*المصدر: اقتصادنا، للسيد الشهيد آية الله محمد باقر الصدر (نقل بتصرف).

المؤلف في سطور:

ولد آية الله محمد باقر الصدر (رض) في مدينة الكاظمية المقدسة يوم ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٢ م، من أسرة عريقة، ينتهي نسبها إلى الإمام (موسى بن جعفر) سلام الله عليهما. كانت علامات الذكاء والعبقرية بادية عليه منذ صغره، مما جعل ال الصدر يترقبون له مستقبلاً مشرفاً.

انتقل إلى النجف الأشرف مع أسرته عام ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٤ م، للدراسة والتحصيل العلمي : وللسيد الشهيد مؤلفات كثيرة منها :

١- غاية الفكر في علم الأصول، وهو عشرة أجزاء- ٢- اقتصادنا- ٣- فلسفتنا- ٤- البنك اللاربوي.

حارب السيد الشهيد النظام البائد بإصداره الفتاوى. مما جعل النظام يعتقل السيد الشهيد مرات عديدة كان آخرها في اليوم الخامس من شهر نيسان عام ١٩٨٠، ثم اعتقلت شقيقته العلوية بنت الهدى، ونفذ فيهما حكم الإعدام يوم ٩ / ٤ / ١٩٨٠ ويوافق هذا اليوم انهيار النظام البائد وهو ٩ / ٤ / ٢٠٠٣.

المناقشة:

- س١: ما مبادئ الاقتصاد الإسلامي؟
- س٢: ماذا يعني مبدأ الملكية المزدوجة؟
- س٣: ما المذاهب الاقتصادية في العالم؟
- س٤: بماذا يؤمن المجتمع الرأسمالي؟
- س٥: بماذا يؤمن المجتمع الاشتراكي؟
- س٦: ما الفرق بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الرأسمالي؟
- س٧: بأي شيء يفترق الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاد الاشتراكي؟
- س٨: هل اعترف المجتمع الاشتراكي بالملكية الخاصة، وما الدليل على ذلك؟
- س٩: ماذا يعني مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود؟
- س١٠: ماذا يعني تحديد الحرية في الإسلام؟
- س١١: ماذا يعني مبدأ العدالة الاجتماعية؟
- س١٢: ما صفات المذهب الاقتصادي في الإسلام؟
- س١٣: ما نظرة الإسلام لمخططه الاقتصادي؟ هل هي نظرة واقعية أم خيالية؟ وضح ذلك.



أسس الاقتصاد الإسلامي

قبل أربعة عشر قرناً أقام الإسلام نظاماً اقتصادياً متكاملًا، وأنشأ مجتمعاً متكافلاً متعاوناً، في حين لم يكن في العالم نظام اقتصادي متكامل، تدعو اليه وتبناه دولة من الدول، أو فئة من الناس.

إن أهم أسس المذهب الاقتصادي الإسلامي هي :

١ - العبادة للخالق وحده لا للمال:

المبدأ الاسلامي الأول هو (التوحيد). ويتمثل في قول رسول الله (ص) :

«قولوا لا اله إلا الله تفلحوا»

فالله سبحانه واحد أحد، فرد صمد، خالق الكون، باري النسم وهو وحده الذي يخص بالعبادة. و(إياك نعبد)، التي تتلوها في كل صلاة تعني أن فعل العبادة لا يقع إلا على مرجع الضمير المتقدم وهو الله ، فالعبادة مقصورة عليه وحده وعبادة غيره كفر، وإشراك أي أنسان أو أي شيء في عبادته كفر.

إن تحرير الضمير من العبودية لغير الله تعني أمرين: أولهما، تخليه عن عبادة العرض الأدنى، تلك العبادة التي زجر الرسول الكريم (ص) عنها فيما روي إذ قال الرسول الكريم(ص) : **(تعس عبد الدينار .. وعبد الدرهم... وعبد القطيفة، تعس وانتكس) ومعنى تعس شقي وهلك.**

والآخر: تخليه عن كل هوى باطل، كما ورد في سورة الجاثية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣)

فعبادة الأهواء تُفسد القلب، وتذهب بالرؤية الباطنة التي يدرك الانسان بها الحقائق، ويميز قيم الحياة، فيغدو لا يبصر إلا ما تميل إليه نفسه من شهوات.

فاذا تحرر باطن الإنسان، وتذوق جمالَ سلطان الحق، رفض إقرار أي هيمنة أو سلطان

باطل في ظاهر الحياة على نفسه أو على غيره. وأيقن أن رسالة الإنسان في هذه الحياة أن يقيم على الأرض حضارة قوامها سلطان الله تعالى.. سلطان الحق والخير والعدل. الذي يتحرر به البشر- كل البشر- من أي عبودية لبشر ظالم. أو شهوة مهلكة.

٢- المال وسيلة لا غاية:

يرى الاقتصاد الإسلامي أنّ المعاش والرفاهية والتمتع بخيرات الدنيا ما لا يستغني عنه الإنسان. غير أنه ليس غاية الحياة. ولا هدفها الأساس. ولقد ذمّ الرسول الكريم (ص) الرهبانية. وأمر بالعمل الشريف النافع وابتغاء فضل الله. يعبر القرآن عن التجارة بـ(فضل الله). وعن المال بـ(الخير) وعن الغذاء بـ(الطيبات) من الرزق. وعن اللباس بـ(زينة الله). وعن المسكن (السكن) وهو الراحة. وهذه كلها وسائل وليست غايات. وسائل توصل الإنسان الى مركزه الحقيقي ورسالته التي وجد من أجلها.

٣- مستوى المعيشة مكفول للجميع، وللقادرين الاستزادة، والثروة لا تتكدس في أيدي الأغنياء.

هذه الأمور التي ذكرها القرآن الكريم لابدّ من أن يحصل عليها كل إنسان. وهي: المأكل(الطيبات) والملبس(الزينة) والمسكن(السكن) ومن طريق العمل الشريف. إلّا العاجز كالطفل والشيخ الفاني. لأن الإنسان إن افتقد هذه الضروريات انتقصت كرامته واذلّه والفقر. قال علي(عليه السلام) (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) لأن الفقر يذل الانسان وقد كرمه الله وشرفه وفضله. والإسلام يوجب على المسلمين أن يحفظوا لكل مسلم هذا الحد من العيش. ومن كان منهم قادراً على أن يكسب فوق ذلك فليفعل. ولأن الإسلام وضع الأصول التي يتبعها المسلم في المعاملة والربح والإنفاق وأداء الضرائب التي جعلها من صلب العبادات والفرائض. وبعبارة أخرى. منع الإسلام تكديس الثروة في أيدي عدد من الناس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الحشر: ٧

٤- سلطة عادلة لتنفيذ التشريع وحمايته:

الإسلام دين عملي، يلزم الدولة الإسلامية وولي الأمر تنفيذ أوامره ونواهيه. ويلزم الناس اتباعها، ومن خالفها ناله العقاب، فالقضاء الإسلامي قادر على وضع الحق في نصابه .

٥- مرونة الاقتصاد الإسلامي لمواجهة الظروف المختلفة:

جاء الإسلام مكملًا لجميع الشرائع السماوية، وبعث محمد بن عبد الله (ص) ليكون خاتم النبيين. فالإسلام ليس مرحلياً بل هو دين للبشرية كلها الى يوم القيامة.

ولا بد لنا من أن نبين كيف ضمن الإسلام للمجتمع مذهباً اقتصادياً صالحاً مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة والظروف: فالمذهب الاقتصادي الإسلامي فرضه الإسلام على نحو لا يقبل التغيير أو التعديل، فقد أحلّ أموراً وحرم أموراً (وحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة). مثال ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ البقرة: ٢٧٥

وحرم الله الاحتكار والسرقة والغش، مثلها مثل تحريم الخمر والميسر ولحم الخنزير والميتة والدم... وغيرها. والأصل التشريعي في هذه الأحكام هو القرآن الكريم والسنة النبوية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ
 نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ
 وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ النساء: ٥٩

ففي هذا النص دلالة واضحة على وجوب طاعة وليّ الأمر العادل. ووليّ الأمر هو صاحب السلطة الشرعية على أن يحكم بهدي الشريعة الإسلامية. لتحقيق العدالة بين الناس وتحقيق التوازن. و يكون هذا التدخل ضمن الشريعة الإسلامية. فلا يحق لوليّ الأمر أن يحلّ الربا. أو يجيز الغش. أو يعطلّ قانون الإرث. ولكن يسمح له بالتدخل والاشراف في الأعمال المباح له التدخل فيها. فيمنع عنها. أو يأمر بها. فإحياء الأرض. وبناء السدود واستخراج المعادن. وشقّ الأنهار والطرق وغيرها من ألوان النشاط والأجار أعمال مباحة سمحت الشريعة بها سماحاً عاماً. ووضعت لكل عمل نتائجه التي تترتب عليه. فاذا رأى وليّ الأمر أن يمنع من القيام بشيء من تلك التصرفات أو يأمر به. في حدود صلاحياته. كان ذلك له. بهذا أصبح المذهب الاقتصادي مرناً في مجال التطبيق. ومرونته هذه تتمثل في معالجة المشكلات التي تعرض للجميع في الظروف الاقتصادية والاجتماعية المختلفة التي مرّت بها الدول وحلّها وفقاً لمبدأ العدالة الإسلامية. ولصالح مجموع الأمة.

المناقشة

- ١- كيف تكون العبادة للخالق وليس للمال ؟
- ٢- كيف يتحرر الضمير من العبودية ؟
- ٣- لماذا عبّر القرآن الكريم عن مبدأ المال وسيلة لا غاية ؟
- ٤- كيف واجه الاقتصاد الإسلامي الظروف المختلفة ؟
- ٥- ما هي صلاحيات وليّ الأمر لتنظيم اقتصاد البلد ؟

الدرس الخامس: التهذيب الرجولة

يعتز كل إنسان بمكان سامية يجد فيها بريقاً تسمو إليه روحه وقيماً تشدّه . فيتمنى أن يتّصف ببعض الصفات الحميدة ، لسموّ تلك الصفات وشرفها وأصالتها إذ إن الرجولة قيمة عليا يثبتها السلوك وتؤكدّها المواقف . فكم تفرح الأمهات وكذلك الآباء حين يرون أبناءهم قد وصلوا سنّ النضج وبدأوا يحثّون الخطى نحو البلوغ . وترى الشاب بدأت تظهر عليه العلامات التي تنقله من عالم الطفولة إلى عالم الرجولة . حتى بدأ يرسم لنفسه صورة الرجل الذي يودّ أن يسلك سلوكاً يُفرّحه ويجعله لائقاً بهذه القيمة العليا . وقد يعتري سلوكه كثير من الأخطاء نتيجة . فتراه قد يستبد برأيه ، أو يكثر عناده أو يصرخ بمن حوله ، أو غير ذلك من التصرفات الخاطئة .

فأين هذا من رجلٍ قلبه مُعلّق بالمساجد؟ وأين هذا من رجلٍ دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله؟

وأين هذا من رجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه؟ وأين هذا من رجلين خابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه؟ أولئك يمقتهم الرحمن وهؤلاء يدينهم ويظلمهم في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه .

إن هذه السلوكيات نواة شرّ ونذير فسادٍ لكلّ المجتمع؛ لأنها تجعل فاعلها مسخاً وتصرفه بعيداً عن الفطرة التي فطره الله عليها . وانحطاطاً على حساب أخلاق الأمة . ولهذا لعن الرسول (ص) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال . ولعن النبي (ص) الخنثيين من الرجال والمترجلات من النساء وقال:

((أخرجوهم من بيوتكم)) .

إذن كيف السبيل ليصبح الفتى رجلاً محترماً يلفت الأنظار ويشار إليه بهيبة واحترام وتفخر وتباهى به من تكون أمّه أو أخته أو زوجته وذلك عن طريق صفات وسمات:

سمات الشهامة والرجولة:

١. الرجولة هو أن لا تشغلك الدنيا عن الآخرة. بنص قول الله تعالى:

﴿رَجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ تَحَزَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
ثَنَّالٌ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٧).

٢. أن تقدم طاعة الله على المال وعلى الولد . فالله تعالى يقول:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا
وَحَيْرًا مَلَأَ﴾ (الكهف: ٤٦).

ويقول الرسول (ص): ((استكثروا من الباقيات الصالحات)). قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: ((التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح ولا حول ولا قوة إلا بالله هي الباقيات الصالحات)).

٣. أن تطيع والديك وأن تحسن إليهما وتبرهما حين كانا أو ميتين . فليست الرجولة في معصية الوالدين أو عنادهما أو رفع الصوت عليهما أو إساءة الأدب امامهما أو أن يكون سببا في سبابهم .

قال رسول الله (ص): ((إن أكبر الذنب أن يسب الرجل والديه. قالوا يا رسول الله: وكيف يسب والديه؟ قال: يسب الرجل والد الرجل، فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)).

٤. أن لاتقذف المحصنات الغافلات وأن لاتطعن في أعراض الناس وأن لاتتعرض إليهن بالسوء . فإنّ اجلّ ما ينافي الرجولة والمروعة ، التعرّض للنساء في أثناء خروجهن إلى حاجاتهن، وأذيتهن بفاحشة القول وبذيئه أو بالإشارة والفعل. وأعلم جيدا أنك كما تدين تدان فعندما تتعرض لنساء الآخرين سيسلّط عليك الفعل نفسه، ويتم التعرض لأهلك ولعرضك ولن يقبل ذلك أي رجل .

٥. الرجولة في العفو لا في الانتقام . فمن الرجولة أن تتحلّى بالعفو عمّن أساء اليك ولا سيما عند قدرتك على الانتقام فكظم الغيظ والغضب منتهى الرجولة . وليست

الرجولة في كثرة الخلاف والاحتكام إلى الشجار والافتتال والنيل من الضعفاء.

٦. تكمن الرجولة في قوة الإرادة والبعد عن المعصية . إنما الرجل من حارب الشهوات ورفض المغريات والانسياق خلف أصدقاء السوء وهوى النفس . وجاهد نفسه ذلك هو الرجل حقاً .

٧. الرجولة في القوامة على الأسرة وأن تكون قيماً على أسرته بتلبية احتياجاتها . والإنفاق عليها من كسب اليد . فالقيّم بمعنى المسؤول . الذي يراعي أهله ويقوم أعوجاجهم إذا أعوجوا . وهو المسؤول عنهم يوم القيامة .

قال رسول الله (ص): **((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته))** ولا يعيب رجولة الرجل أن يعين أهله فقد كان رسول الله (ص) **((يخسف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته))** . وهو رسول الله خير خلق الله . كما لا يقدح في رجولة الرجل أن يلاطف أهله أو أن يمازحهم .

٨. أن تتحلى بمكارم الأخلاق من شهامة وأدب وإغاثة للملهوف . وإعانة للضعفاء وكرم وحسن خلق .

قال رسول الله (ص): **((إن المؤمن ليبليج بحسن خلقه درجة الصائم القائم))** فتلك هي الرجولة الحقّة .

٩. أن تكون على قدر المسؤولية فتتفدّ ما عليك بأمانة وإخلاص (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وهي صفة يمكن تحقيقها مهما اختلفت وظيفة الإنسان في الحياة . فالوزير والمسؤول من عدّ كرسيه تكليفاً لا تشريفاً ورآه وسيلة للخدمة لا وسيلة للجاه . و أول ما يفكر فيه مصلحة بلده وخدمة الناس وأداء واجبه . وآخر ما يفكر فيه نفسه . ويظلّ محافظاً على حقوق أمته فذلك هو الرجل .

١٠. أن تفيّ بوعدك وان تصدّق بقولك فالرجل كلمة هكذا يقال . وقال عزّ من قائل بوصف الرجال وثباتهم على المبدأ والدين :

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب: ٢٣

١١. أن تذود عن دينك فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتلتزم شرع الله وتجاهد في سبيله وان تتحلى بالشجاعة في الدفاع عن الحقّ .

١٢. الرجولة في التواضع. لا التكبر. وما يروى أنه قد جاء ضيف إلى عمر بن عبد العزيز، فكاد السراج أن ينطفئ. فقال الضيف: يا أمير المؤمنين أقوم فأصلحه؟ فقال عمر بن عبد العزيز: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه. فقال الضيف: أوقظ الغلام؟ قال عمر: إنها أول نومته. ثم قام عمر بن عبد العزيز وأصلح السراج ثم عاد. فقال الضيف: أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يصلح سراجي!! قال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وعدت وأنا عمر بن عبد العزيز. أي لم ينقص هذا الأمر من قدره، بل ازداد قدرا عند الله عز وجل ومن تواضع لله رفعه.

١٣. الرجولة ، تُرسّخ بعقيدة قوية وتُهدّب بتربية صحيحة، وتُتمّى بقدوة حسنة. وهي صمودٌ أمام الملهيات، وارتفاع على المغريات، وحذر من يوم عصيب، والرجولة رأيٌ سديد، وكلمة طيبة، ومروءةٌ وشهامةٌ، وتعاون وتضامن. والرجال لا يقاسون بضخامة أجسادهم وبهاء صورهم إنما بإيمانهم وسلوكهم وسيرتهم، فعن علي بن أبي طالب -عليه السلام- قال: أمر النبي (ص) الصحابي عبدالله ابن مسعود فصعد على شجرةٍ، أمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من دقة ساقه.

فقال رسول الله (ص): ((ما تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد)).

أهمية الرجولة

إن المجتمعات أحوج إلى الرجال عند الأزمات فتشتد الحاجة لوجود الرجال الحقيقيين وحين تقع الفتن بالمسلمين نحتاج إلى عناصر مثبتة، تثبت المسلمين على المنهج الرباني وحمي الوطن ، فمن الذي يثبت؟ ففي الأزمات تكتشف أنت معادن الرجال، فيكشف كل رجل عن معدنه الخالص، وفي حالة الأزمات يتبين الرجال الذين يقفون على منهج الله بأقدام راسخة. فالرجولة مطلب يسعى إلى التحلي بخصائصها أصحاب الهمم

، ويسمو بمعانيها الرجال الجادون. وهي صفة أساسية ، فالناس إذا فقدوا أخلاق الرجولة صاروا أشباه الرجال ، وحين تضيع قيم الرجولة بسوء تصرفات الرجال أنفسهم يحلُّ بالبيت الضياع وبالمجتمع العطب والخراب. وبالأمة الضعف والهوان. إذ تضيع القوامه وتضعف الغيرة فتتسع رقعة الفساد الخلقي وتنتهك الحرمات وتُستباح الأوطان .

المناقشة

١. حدّث عن بعض السلوكيات الخاطئة التي يتصرف بها بعض الشباب ظلّاً منهم أنها تجعلهم يتمتعون بالرجولة.
٢. من عبارات المديح التي تسعدك أن يقال: إنك رجل ، وعن المرأة العفيفة: إنها أخت رجال . ما سبب عدّ هذه العبارات من المديح ، وأين تكمن أهمية الرجولة ؟
٣. اكتب موضوعاً إنشائياً تصف فيه رجلاً تجده قدوة لك وبيّن صفاته (نشاط).
٤. الوزير والمسؤول الرجل من عدّ كرسيه تكليفاً لا تشريفاً . وضح ذلك؟
٥. جهاد النفس وكبح شهواتها أعظم الجهاد. استشهد بحديث لرسول الله (ص)؟
٦. الرجولة في التواضع ، استشهد على ذلك ؟

الوحدة الرابعة

الدرس الأول: من القرآن الكريم

من سورة الاسراء :

الآيات (٢٣-٣٩) آيات الحفظ (٣٠ - ٣٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ
عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ
الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمْهُمَا ۚ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا
فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾
وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذَرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾
إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾
وَأِمَّا تَعْرِضَنَّهُمْ لَبِئْسَ مَا تَكْتُمُ ۚ رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا
مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ
قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً

وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

صدق الله العلي العظيم

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
قضى	أمر
بالوالدين إحسانا	البرّ بالوالدين والإحسان إليهما
أَفَّ	كلمة تدلّ على الضجر والجزع والتململ.
قولاً كريماً	جميلاً ليناً.
جناح الذل	ألن لهما جانبك وتواضع لهما.
الأوابين	الراجعين إلى الطاعة بعد المعصية.
وآت ذا القربى	أعط أصحاب القربات حقوقهم من البرّ والصلة.
ابن السبيل	المسافر الذي لا مال معه. والذي انقطعت صلته بأهله.
ولا تبذر تبذيراً	ولا تنفق المال في غير طاعة الله ورسوله.
قولاً ميسوراً	قولاً ليناً.
ولا تجعل يدك مغلولة	لا تمسك يدك عن الإنفاق ، لا تكن شحيحاً بخيلاً.
لا تبسطها كل البسط	لا تكن مبذراً مسرفاً .
محسوراً	نادماً .
يبسط الرزق	يعطي عطاءً جزيلاً.
يقدر	يضيّق.
خشية إملاق	مخافة فقر.
خِطْئاً	إثمًا وذنباً.
وساء سبيلا	وبئس الطريق طريقه.
سُلْطَاناً	تسلطاً على القاتل بالقصاص او الدية
أشدّه	قوته - حسن قيامه بمصالح ماله وحفظه.
القسطاس	الميزان العادل.
أحسن تأويلا	أحسن مآلاً وعاقبة.
لَا تَتَّبِعْ	لا تتبع
مرحاً	فرحاً وبطراً، واختيالاً.
مدحوراً	مبعداً من رحمة الله.

المعنى العام

ضمت هذه الآيات من سورة الإسراء جملة من الآداب التي يأمرنا الله تعالى بها لصلاحنا وصلاح المجتمعات وحمايتها من التفكك والانحلال ، وقد حذر من لايلتزم هذه الآداب عذاباً عظيماً.

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
يأمر الله تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له فالتوحيد أصل الإيمان (وَقَضَىٰ رَبُّكَ - يعني أمر ربك ووصى) ، ثم أوصى الله الأبناء بالإحسان إلى الوالدين لما لهما من الفضل عليهم، فإذا بلغا الكبر ، أحدهما أو كلاهما ، عند أبنائهما ، فعلى الأبناء ألا يُسمعوهما قولاً سيئاً حتى ولا تأففاً (وَأَفْ كَلِمَةً تَدُلُّ عَلَى الضَّجَرِ وَالضِّيْقِ) ، ويجب أن لا ينتهروهما ، وأن لا يصدر منهم إليهما فعل قبيح يدل على سوء الأدب . وأمر الله الأبناء بالإحسان في القول إلى الأبوين وتوقيرهما ، وباستعمال الكلام الطيب الكريم في مخاطبتهما (فَلَا نِعْمَةَ تَصِلُ إِلَى الْإِنْسَانِ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ الْخَالِقِ ثُمَّ نِعْمَةُ الْأَبَوَيْنِ) .

وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
وأمر الله تعالى الأبناء بالتواضع للأبوين في تصرفهم معهما ، حتى يبدو الأبناء أذلاء من شدة الاحترام والتواضع لهما ، لا يردون لهما طلباً ، ولا يرفضون لهما أمراً . ثم أمر الأبناء بالدعاء للأبوين ، والترحم عليهما ، جزاء ما احتملاه في تربية الأبناء من عناء ومشقة وعنت .

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿٢٥﴾
ربكم أيها الناس أعلم منكم بما في نفوسكم من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم ، والبر بهم ، ومن الاستخفاف بحقوقهم ، والعقوق لهم ، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه ، فاحذروا أن تضمروا لهم سوءاً ، أو تجعلوا لهم في أنفسكم عقوقاً ،

فَأَنْتُمْ إِنْ أَصْلَحْتُمْ نَيَّاكُمْ فِيهِمْ ، وَأَطَعْتُمْ رَبَّكُمْ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ الْبِرِّ بِهِمْ ، بَعْدَ هَفْوَةٍ كَانَتْ مِنْكُمْ ، أَوْ زَلَّةٍ فِي وَاجِبٍ لَهُمْ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ لَكُمْ مَا فَرَطَ مِنْكُمْ ، فَهُوَ غَفَّارٌ لِمَنْ يَتُوبُ مِنْ ذَنْبِهِ ، وَيَرْجِعُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَى طَاعَتِهِ . لِلتَّوَّابِينَ عَمَّا فَرَطَ مِنْهُمْ .

وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُذْرٌ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ ، عَطَفَ عَلَى ذِكْرِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ ، وَإِلَى صَلَهِ الْأَرْحَامِ ، وَالتَّصَدُّقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَالْمَسَاكِينِ ، وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ ، الَّذِينَ انْقَطَعَتْ نَفَقَتُهُمْ . وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » . وَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْفَاقِ نَهَى عَنِ الْإِسْرَافِ فِيهِ ، وَحَثَّ عَلَى الْاِعْتِدَالِ قَالَ تَعَالَى (وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا) .

إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ^ط وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

وَالْمُبْذِرُونَ هُمْ فُرَنَاءُ الشَّيَاطِينِ فِي السَّفْهِ وَالتَّبْذِيرِ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ كَفُورًا بِنِعْمَةِ رَبِّهِ ، جُحُودًا بِهَا ، لِأَنَّهُ أَنْكَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ . وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيَّسُورًا ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَأَلَكَ أَقَارِبُكَ ، وَمَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ بِإِعْطَائِهِمْ ، وَلَيْسَ لَدَيْكَ شَيْءٌ تُعْطِيهِمْ إِيَّاهُ ، وَأَعْرَضْتَ عَنْهُمْ لِضِيقِ الْيَدِ ، وَفُقْدَانِ مَا تُنْفِقُ عَلَيْهِمْ ، فَعِدْهُمْ وَعْدًا لَيِّنًا جَمِيلًا ، تَطِيبُ بِهِ قُلُوبَهُمْ ، وَقُلْ لَهُمْ إِذَا جَاءَكَ رِزْقٌ فَاسْتَصِلْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْاِقْتِصَادِ فِي الْعَيْشِ ، وَيَنْهَى عَنِ السَّرْفِ ، فَيَقُولُ : لَا تَكُنْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَخِيلًا مَنُوعًا لَا تُعْطَى أَحَدًا شَيْئًا ، وَلَا تُسْرِفُ فِي الْإِنْفَاقِ فَتُعْطَى فَوْقَ طَاقَتِكَ ، فَإِذَا بَخِلْتَ قَعَدْتَ مَلُومًا يُلُومُكَ النَّاسُ عَلَى الْبُخْلِ وَيَذُمُّونَكَ .

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ . إِنَّ رَبَّكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ، وَيُوسِّعْ عَلَيْهِ ، وَيَقْتُرْ عَلَى مَن يَشَاءُ وَيُضَيِّقْ عَلَيْهِ ، لِمَا لَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ خَبِيرٌ بِعِبَادِهِ . . وَهُوَ بَصِيرٌ بِتَدْبِيرِهِمْ وَنَصْرُهُمْ .

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ . وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَوْفَ أَن تَفْتَقَرُوا إِذَا أَنْفَقْتُمْ عَلَيْهِمْ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بَعْضُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، إِذْ كَانُوا يَتَدَوَّنَ بَنَاتِهِمْ وَهُنَّ أَحْيَاءٌ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُتَكَفِّلٌ بِرِزْقِهِمْ وَرِزْقِكُمْ مَعًا ، وَقَتْلُهُمْ فِيهِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ ، وَخَطِيئَةٌ كَبِيرَةٌ .

وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ . يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ مُقَارَبَةِ الرِّزْقِ فَهُوَ فَاحِشَةٌ مُحَرَّمَةٌ وَيَأْمُرُنَا بِسُبْحَانِهِ وَتَعَالَى بِالْعِفَّةِ وَالِابْتِعَادِ عَنْ أَسْبَابِهِ وَمَقْدَمَاتِهِ فَلَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ (ص) أَنَّهُ قَالَ : (العين تزني والقلب يزني فزنا العين النظر وزنا القلب التمني والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه) .

لذا وجب الحذر أشد الحذر من مُبَاشَرَةِ أَسْبَابِهِ وَدَوَائِعِهِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْحَرَامِ وَالْخُلُوعِ بِالْأَجْنِبِيَّةِ وَمَسِّ الْمَرْأَةِ ، وَالزَّوْنِ فِعْلَةً ظَاهِرَةً الْقُبْحِ (فَاحِشَةً) ، وَيُبْنَسُ طَرِيقًا وَمَسْلَكًا ، لِمَا فِيهِ مِنْ اخْتِلَاطِ الْأَنْسَابِ ، وَفَسَادِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ ، لِضِيَاعِ الثَّقَةِ الْوَاجِبِ تَوَافُرِهَا لِأَطْمَئِنَّانِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ .

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

يُنْهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَتْلِ النَّفْسِ . وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) : لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ (.
ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنْ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا وَسَلَّطَهُ عَلَى الْقَاتِلِ ، إِنْ شَاءَ قَتَلَهُ قِصَاصًا

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧٩)
كي لا يتساهل القاتل ويكرر جرائمه إن أراد تنفيذ القصاص ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ، وَأَخَذَ الدِّيَّةَ ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ بِغَيْرِ دِيَّةٍ .
ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَلِيَّ الْمَقْتُولِ بِالْأَيْتِجَاوَزِ الْحَدَّ الْمَشْرُوعَ كَأَنْ يَقْتُلَ اثْنَيْنِ مُقَابِلَ وَاحِدٍ ،
أَوْ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ غَيْرِ الْقَاتِلِ ، كَأَخَوْتِهِ وَأَقْرَبَائِهِ . وَيُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ
مَنْصُورٌ عَلَى الْقَاتِلِ ، بِأَنْ أَوْجَبَ لَهُ الْقِصَاصَ أَوْ الدِّيَّةَ وَأَمَرَ الْحُكَّامَ بِأَنْ يُعِينُوهُ فِي
اسْتِيفَائِهِ حَقَّهُ .

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ

كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

وَبَعْدَ أَنْ نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِنْثِلَافِ الْأَنْفُسِ ، نَهَى عَنْ إِنْثِلَافِ الْأَمْوَالِ ، وَأَحَقُّ الْأَمْوَالِ
بِالرِّعَايَةِ مَالُ الْيَتِيمِ ، فَبَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى بِدَعْوَةِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْحِفَاظَةِ عَلَيْهِ فَقَالَ : وَلَا
تَتَصَرَّفُوا بِمَالِ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الطَّرِيقِ ، وَهِيَ طَرِيقَةُ حِفْظِهِ وَتَثْمِيرِهِ
لَأَنَّهُ ضَعِيفٌ عَنْ تَدْبِيرِ مَالِهِ ، عَاجِزٌ عَنِ الدَّوْدِ عَنْهُ ، وَالْجَمَاعَةُ الْمُسْلِمَةُ مُكَلَّفَةٌ بِرِعَايَةِ
الْيَتِيمِ وَمَالِهِ ، حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْعِنَايَةِ بِمَالِهِ وَتَدْبِيرِهِ . وَبِمَا أَنَّ رِعَايَةَ
مَالِ الْيَتِيمِ وَشَخْصِهِ عَهْدٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ ، لِذَلِكَ أَحَقَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْوَفَاءَ

بِالْعَهْدِ إِطْلَاقًا ، وَحَثَّ عَلَيْهِ ، فَاللَّهُ تَعَالَى . يَسْأَلُ عَنِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَيُحَاسِبُ عَلَيْهِ
مَنْ يَنْكُثُ بِهِ وَيَنْقُضُهُ .

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
وَالْوَفَاءُ بِالْكَيْلِ وَالْإِسْتِقَامَةُ فِي الْوِزْنِ هُمَا مِنْ أَمَانَاتِ النَّعَامِلِ ، يَسْتَقِيمُ بِهِمَا
النَّعَامِلُ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَتَتَوَافَرُ بِهِمَا الثِّقَةُ فِي النُّفُوسِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ
الْمُؤْمِنِينَ بِإِفَاءِ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ وَإِتْمَامِهِمَا مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ وَلَا تَطْفِيفٍ ، وَبِأَنْ يَزِنُوا بِمِيزَانٍ
عَادِلٍ سَلِيمٍ مَضْبُوطٍ (الْمُسْتَقِيمِ) .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَإِفَاءَ الْكَيْلِ وَالْوِزْنَ خَيْرٌ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّكَثِ
بِالْعَهْدِ ، وَبَخْسِ النَّاسِ حَقَّهُمْ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ ، وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمُنْقَلَبًا فِي الْآخِرَةِ .

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْعِبَادَ عَنِ الْقَوْلِ بِلَا عِلْمٍ ، وَمَنْ دُونَ تَثَبُّتٍ ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَمْتَنَعَ
عَنِ الْحَدِيثِ فِي أَمْرِ عَلَى الظَّنِّ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّوَهُّمِ . وَالْحَذَرُ أَشَدُّ الْحَذَرِ مِنْ شَهَادَةِ الزُّورِ
أَوِ النَّطْقِ بِمَا لَا تَرَاهُ الْعَيْنُ وَتَسْمَعُهُ الْأُذُنُ وَيَعْبَهُ الْقَلْبُ أَوْ الظَّنُّ السَّيِّئُ .

وَفِي الْحَدِيثِ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » .
وَيَقُولُ تَعَالَى لِلْعِبَادِ إِنَّهُ سَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ، وَعَمَّا اجْتَرَحَتْهُ كُلُّ جَارِحَةٍ مِنْ هَذِهِ الْجَوَارِحِ .

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ
ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

ولا تمش في الارض مغترّاً مرحاً فأنتك لن تخرق الأرض بمشيك عليها، ولن تبلغ الجبال طويلاً خيلاً وتكبراً.

ان التزام ما امر الله تعالى به من الآداب كإطاعة الوالدين والإيفاء بالكيل ومراقبة الجوارح والتواضع والتزام ما نهى عنه من قبائح الأفعال كالشح والبخل وقتل النفس، وهو ما سيجعلك إنساناً صالحاً محترماً وملتزماً، تكسب رضا الله ومحبة خلقه.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

وهذا الذي أمر الله تعالى به من الأخلاق الحسنة، ونهى عنه من الصفات الذميمة، هو مما أوحينا إليك يا محمد من فقه الدين، ومعرفة أسرارهِ، ومن الحكم في تشريعهِ لتأمر الناس به. ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون عاقبتك نار جهنم، فتلوم نفسك ويلومك الله والخلق وتكون مبعداً ومطروداً من كل خير.

(وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا الْخِطَابِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِوَاسِطَةِ الرَّسُولِ، فَهُوَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعْصُومٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ) قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ القلم: ٤ .

أبرز ما ترشد إليه الآيات

- ١- وجوب عبادة الله تعالى وحده ووجوب برّ الوالدين حيّين أو ميتين، وهو الإحسان بهما، وكف الأذى عنهما، وطاعتهما في المعروف.
- ٢- وجوب الدعاء للوالدين بالمغفرة والرحمة.
- ٣- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم إضمار أيّ سوء في النفس.
- ٤- من كان صالحاً وبدرت منه البادرة السيئة وتاب منها فإن الله يغفر له ذلك.

- ٥- وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البرّ والصلة. وكذا المساكين وابن السبيل.
- ٦- حرمة التبذير وحقيقته إنفاق المال في المعاصي والمحرمات.
- ٧- حرمة البخل، والإسراف معاً وفضيلة الاعتدال والقصد.
- ٨- تجلّي حكمة الله تعالى في التوسعة على أناس. والتضييق على آخرين للاختبار والابتلاء .
- ٩- حرمة قتل الأولاد بعد الولادة أو إجهاضاً قبلها خوفاً من الفقر أو العار.
- ١٠- حرمة مقدمات الزنا كالنظر بشهوة والكلام مع الأجنبية ومسّها. وحرمة الزنا نفسه وهو أشد.
- ١١- حرمة قتل النفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحقّ وحرمة مال اليتيم أكلاً أو إفساداً أو تضييعاً وإهمالاً.
- ١٢- وجوب الوفاء بالعهود وسائر العقود.
- ١٣- وجوب إيفاء الكيل والوزن وحرمة بخس الكيل والوزن.
- ١٤- حصول البركة لمن يمثّل أمر الله في كيله ووزنه.
- ١٥- حرمة القول أو العمل بلا علم لما يُفْضِي إليه ذلك من المفسد ولأن الله تعالى سائل كل الجوارح وجاعلها تشهد على صاحبها يوم القيامة.
- ١٦- حرمة الكبر ومقت المتكبرين فكلكم لآدم وآدم من تراب وأول الإنسان نطفة وآخره تراب .
- ١٧- الأخذ بهذه الوصايا والأوامر خير من الدنيا وما فيها. والتفريط فيها هو سبب خسران الدنيا والآخرة.

المناقشة

١. كيف يكون برّ الوالدين حينين أو ميتين ؟
٢. تضمنت الآيات مجموعة من الآداب والوصايا تحدث عن سبعة منها .
٣. قتل النفس أثم عظيم: بيّن الأثر المترتب على مرتكب الجريمة .
٤. الزنا فاحشة عظيمة ، فيجب على المسلم أن يبتعد عن اسبابه ومقدماته التي تعدّ من الزنا ، اذكر تلك الأسباب والمقدمات ، واستشهد على حرمتها.
٥. قد يستسهل بعض الناس قذف المحصنات ، بيّن حكم الشرع في ذلك .
٦. اللسان سبب ولوج النار ، لذا يجب التثبت قبل النطق ، ما الآية التي أشارت إلى هذا المعنى ؟
٧. الاعتدال صفة بين صفتين. ماهما وما مصداق ذلك من الآيات الكريمة في السورة؟



الدرس الثاني: من قصص القرآن نبي الله شعيب (ع)

شعيب :

اسمه يثرون بن صفيون ويرجع نسبه الى إبراهيم (ع). لقد كان شعيب (ع) حليماً صادقاً وقوراً ، وكان رسول الله (ص) إذا ذكره يقول (ذاك خطيب الأنبياء) لحسن مراجعته قومه فيما دعاهم إليه.

أهل مدين : هم من سلالة مدين بن إبراهيم (ع) كانوا يسكنون مدينة مدين قرب (معان) جنوب شرقي الأردن ، وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكايل والموازين وإفساد في الأرض وكانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون دراهمك هذه مزيفة فيقطعونها ثم يشترونها منه بالنقصان.
فأرسل الله شعيبا (ع) الى قومه :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوِّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ الأعراف: ٨٥ - ٨٦

شعيب (ع) يدعو قومه :-

لقد خاطب شعيب (ع) قومه بقوله (يا قوم) تلطفاً بهم وتذكيراً لهم بأنهم قومه وأنه أخوهم في النسب والقراية ، وأن من كان هذا شأنه فلا شك في أنه يريد لهم الخير بخطابه لهم فدعاهم إلى عبادة الله وتوحيده شأنه في ذلك شأن من سبقه من الأنبياء (ع) فجميعهم يدعو إلى تأكيد حقيقة العبودية لله ووجوب توحيده وطاعة رسله .

ولقد أكثر شعيب (ع) الحوار والجدل مع قومه ليحملهم على الإيمان بالله وبما جاء به من أمر الدعوة . وكان فصيحاً بليغاً جزل الموعظة فبعد أن دعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده دعاهم إلى الإقلاع عن كلِّ المفاسد والمنكرات التي فشت فيهم وانغمسوا فيها إذ إنه:

أ - أمرهم بإيفاء الكيل والميزان ونهاهم عن التطفيف فيهما وبخس الناس أشياءهم :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَكِئَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٥)

الأعراف: ٨٥

ب - نهاهم عن الإفساد في الأرض بالكفر وفساد الأخلاق وسفك الدماء .

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

أي بعد أن أصلحها الله ببعث الرسل (ع) وأمرهم بالعدل .

ج - نهاهم عن قطع الطريق على الناس لسلبهم أموالهم أو لمنعهم من الحجى إلى

شعيب (ع) وسماع دعوته وتهديدهم لمن آمن به بالقتل وتشويههم
لدعوة شعيب (ع) بما يلقونه من شبهات باطلة ووصفها بأنها دعوة باطلة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِءِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكَذَّبْتُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٨٦) الأعراف: ٨٦

جود قوم شعيب (ع)

لقد كان قوم شعيب من شرّ الإخوان في النسب والقراصة فهم كقوم نوح وقوم
هود وقوم صالح وقوم لوط (ع) ، سعوا بكل قوة وجهل وإصرار على الكفر لإحباط
دعوة نبيهم عن طريق الايمان، وحاربوه بكل الوسائل ومن أهمها:

- ١- تكذيب شعيب (ع) حتى لا تطمئن له النفوس ولا تهتدي إليه القلوب .
- ٢- اتّهامه بالسحر وأنه مُسَحَّر حتى فسد عقله ، فقالوا له لقد فسد عقلك من
السحر ولا حقيقة لما تدعيه لنفسك من النبوة، وهي شبهة قديمة قالها الكفرة
لأنبياء الله ، وهذا ما حكاه قوله تعالى :

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (١٨٥) الشعراء: ١٨٥

- ٣- تربّصهم بالمؤمنين فقد عمد قوم شعيب (ع) إلى قطع الطريق على المؤمنين حتى
لا يصلوا إليه ويتعلموا أحكام الله ، فقد كانوا يقعدون في الطرقات ويصرفون
من يريد الايمان عن دين الله ويشوّهون الحقائق ويثيرون الشكوك ليقولوا إنها سُبُل
معوجة .

٤- استهزأوهم بشعيب (ع)، فقالوا له ما حكاه تعالى:

﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَئُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ٨٧ هود:

أي أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأوثان أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء وهي حقنا فنفعل فيها ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد، فكيف تأمرنا بذلك ؟.

٥ - تهديدهم لشعيب (ع) بالإخراج من قريتهم :

لقد توعد الكفار نبي الله شعيباً ومن معه من المؤمنين بالإخراج من قريتهم أو إجبارهم على الرجوع في ملتهم المنحرفة ، قال تعالى حكاية عما قاله الملائكة لشعيب (ع).

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ ٨٨

الأعراف: ٨٨

٦- تهديدهم لشعيب بالرجم : قالوا يا شعيب إنما لا نفهم كثيراً من قولك ولا نصدقك وإننا نراك فينا ضعيفاً لا جند لك ولا أعوان تقدر بهم على مخالفتنا لضعفك ، فما أنت علينا بغالب ولا قاهر ولولا عشيرتك لرجمناك .

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ ٩١ هود:

٩١ هود:

وقد حاججهم شعيب (ع) وحاورهم وأقام عليهم الحجة البينة لعلهم يهتدون إلا أنهم أصرّوا على كفرهم وعنادهم فأهلكهم الله ونجّى شعيباً والمؤمنين.

هلاك قوم شعيب (ع) :-

بعد أن استنفذ شعيب (ع) كلّ السبل مع قومه ليؤمنوا .وبعدما لقيه من جحودهم دعا ربّه فقال ما حكاه قوله تعالى.

﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّسْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (٨٩) الأعراف: ٨٩

أي ربّ احكم بيننا وافصل. والمراد منه أنه طلب أن ينزل عليهم عذاباً يدل على كونهم مبطلين ويظهر الحقّ للجميع ، وهو أن تنصّرني عليهم .

فاستجاب الله تعالى دعاء نبيّه وأنزل بهم العذاب بما عصوا نبيّهم وكذبوه. :
 قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ (٩١) الأعراف: ٩١.

أي أهلكهم الله بالرجفة . أي الزلزلة التي ينال الإنسان معها اهتزاز وارتعاد واضطراب والصيحة المرعبة . فأصبحوا ميتين هامدين وقد عبّر عن عذابهم هنا بالرجفة وفي سورة هود بالصيحة كعذاب ثمود. :

﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ (٦٧) هود: ٦٧

أبرز ما يستنبط من السيرة الكريمة

١- إن الله تعالى بعث إلى مدين أخاهم شعيباً (ع) وهو أخوهم في النسب لا الدين فدعاهم بكل حنو وشفقة وإخلاص وكان قومه شرّ الإخوان فحقّ عليهم غضب الله وعذابه بكفرهم وجحودهم .

٢- إن هدف الأنبياء (ع) جميعاً هو الإصلاح لتغيير المنكرات والمفاسد والانحرافات وهكذا كان شعيب (ع) يسعى جاهداً لإصلاح قومه ولم يدخر في ذلك جهداً ولا وسيلة بقدر استطاعته فقال لهم ما حكاه قوله تعالى:

﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَضَكُمْ إِلَيْهِ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ هود: ٨٨

٣- لقد واجه شعيب (ع) قومه وجادلهم ببلاغة حتى لُقِبَ بخطيب الأنبياء فأنكر عليهم ما هم فيه من المفاسد والمنكرات وسعى لإزالتها كالتطفيف وبخس الناس أموالهم وقطع الطريق والإفساد في الأرض ولنا في الأنبياء (ع) أسوة حسنة فوجب علينا رفض المنكر ومواجهة أهله والسعي لعلاج الأمراض الاجتماعية المنافية للدين كالغش والرشوة ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلاً .

٤- اتصف قوم شعيب (ع) (أهل مدين) بكفرهم وبخس الناس أموالهم في المكاييل والموازين والإفساد في الأرض .

٥- إن الله مهلك الكفرة وناصر المؤمنين. فقد أنجى الله شعيباً (ع) ومن آمن معه وأهلك الكفرة.

المناقشة

- ١- صف أخلاق قوم شعيب.
- ٢- نهى شعيب قومه عن أمور ، ما هي ؟
- ٣- لقب شعيب بخطيب الأنبياء ، علل ذلك.
- ٤- اتصف قوم شعيب بالجحود والتمرد على نبيهم ، بيّن ذلك.
- ٥- من أهم العبر التي لابدّ الاستفادة منها في سير الانبياء (ع) ،
مواجهتهم الفساد ، فما واجبنا اتجاه مظاهر الفساد في المجتمع ؟



الدرس الثالث: من الحديث النبوي الشريف

((في الجهاد وكرامة المجاهد))

للشرح والحفظ

قال رسول الله (ص) : مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَلِمُهُ يَدْمَى ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ ، وَالرَّيْحُ رِيحُ مِسْكِ .

صدق رسول الله

معانى الكلمات

الكلمة	معناها
يُكَلِّمُ	يُجَرِّحُ .
سبيل الله	دينه .
الكلمُ	الجرح .
المسك	مادة عطرية دهنية تفرز من دم دابة كالظبي يدعى (غزال المسك) والمراد أن للدم رائحة طيبة كرائحة المسك .

شرح الحديث

١- الإسلام يدعو إلى السلم والسلام ، وليس أدل على ذلك من الدعوة الصريحة إليه في قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨) .

ولكن السلم الذي يدعو إليه الإسلام عزيز قوي ، وليس ذليلاً مُهيناً ، سلمٌ لا يعرض البلاد للخطر والدمار .

٢- ومن أجل ذلك شرع الله الجهاد صيانة لأرواح الناس ودفاعاً عن دينهم وأوطانهم وليتمكنوا من أداء رسالتهم التي كلفهم الله بها .

ولم يشرع الجهاد للغلبة وإنما شرع للدفاع عن الاسلام والمسلمين ولردّ البغي والعدوان .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١١٠) البقرة: ١٩٠ .

٣- وحين شرع القرآن الجهاد نأى به عن جوانب الطمع والاستئثار وإذلال الضعفاء ، وابتغاه طريقاً إلى السلام والأطمئنان وبناء الحياة على أسس الحق والعدل والمساواة ومبادئها .
 ٤- شرع الجهاد أيضاً للمحافظة على المال والعرض فهو واجب مقدس . قال رسول الله (ص): من قتل دون ماله فهو شهيد . ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد .
 ٥- الإسلام أوجب الجهاد وحث عليه ووعد المجاهدين الثواب في الآخرة والنصر في الدنيا . وأنذر المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله بالذلة في الدنيا والعذاب يوم القيامة .
 قال رسول الله (ص) : (ما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا عمهم الله بالعذاب) .
 ٦- ولما كان الجزاء على مقدار التضحية وكان المجاهد أكثر الناس تضحيةً كان أعظمهم ثواباً وأحسنهم جزاءً . ومن مظاهر هذا الجزاء أن كل مجاهد يُجرح في سبيل الله ودفاعاً عن كرامة أمته ووطنه وحقوقه ويرد شر من يريد السوء ببلده من المعتدين . يجيء يوم القيامة على الحالة التي أصيب بها في أثناء جهاده ويكون لدمه رائحة المسك ، فيكون في يوم القيامة في موقف الشرف والكبرياء والتكريم .
 لقد استغل أعداء الدين كلمة الجهاد إذ شوهوا صورته فراحوا يكفرون هذا وذاك ويقاتلون المسلمين من شهدوا أن لا إله إلا الله ، تارة بمفخخات يزرعوها لقتل الأبرياء وتارة بسطو وأخرى تهجير بدعوى الجهاد . فهؤلاء براء من الإسلام والإسلام منهم براء ووجب محاربتهم والوقوف ضدهم لحماية الوطن والمواطنين وصدّ بغيهم وعدوانهم .

أهم ما يرشد إليه الحديث :

١- الجهاد واجب مقدس ومن أجل الأعمال ، وباب من أبواب الجنة .
 ٢- من شأن المسلمين أن يكونوا دوماً مستعدين لمكافحة عدوهم . مجهزين بكل وسائل القوة لدفع ظلم المعتدي الغاصب ، واسترداد حقوقهم وحماية أمنهم واستقلالهم .
 ٣- وفي الحديث الشريف حثّ للناس على التسابق في ميادين الجهاد والتضحية لأنه فرض يمثل قيمة دينية ووطنية واجتماعية وخلقية ، ومن أجل الحفاظ على شرف الأمة وكرامتها والدفاع عنها من مطامع الاعداء .

المناقشة

١- صوّر الرسول (ص) جرح الشهيد بصورة محبة تغري بالجهاد والثبات أمام الأعداء . تكلم عن ذلك ذاكرة الغرض من هذا التصوير بإيجاز .
 ٢- أوجب الإسلام الجهاد وحثّ عليه . فماذا وعد المجاهدين ؟ وماذا أنذر المتخلفين عن الجهاد ؟
 ٣- ردّ البغي والعدوان من أسباب تشريع الجهاد ، ناقش ذلك .

الدرس الرابع: أبحاث الوظائف الاقتصادية للدولة

١ - مراقبة الفعاليات الاقتصادية:

أوجب الإسلام على الدولة أن تشرف على الأنشطة الاقتصادية كمراقبة الانتاج. فالانتاج الرأسمالي يتحكم به الربح، لا حاجة المواطنين. أمّا في المجتمع الإسلامي فيجب ان يكون الانتاج لسدّ حاجات المواطنين. وواجب الدولة الإشراف على المبيعات، ومنع الغش والتطفيف في المبيعات والأوزان والأسعار. ومنع احتكار السلع الإستهلاكية، ومراقبة ما يحفظ الصحة العامة، مثل الرقابة على الأغذية والمشروبات، والمطاعم ومصانع الحلويات وغيرها.

٢ - منع المعاملات المحرمة:

المعاملات المحرمة هي التي نصّت الشريعة الإسلامية على حريمها، إما لأنها لا تقوم على الأسس الأخلاقية الإسلامية، وإما لأنها تضرّ بمصالح الجماعة، مثل الربا والاحتكار والرشوة والتطفيف.

٣ - تحديد الأسعار عند الضرورة:

للدولة الحقّ في التدخل لتحديد الأسعار في ظروف معينة منها:

أ- إذا كانت السلعة منحصراً ببيعها في عدد معين من الناس (حالة الاحتكار) سواء أكان ذلك الانحصار او الاحتكار أمراً واقعاً، أي باتفاق البائعين، أم بحكم القانون.

ب- إذا كانت السلعة ضرورية للناس، وامتنع اصحابها عن بيعها أصلاً، أو طلبوا ثمناً لها أعلى من قيمة المثل.

ج- إذا تواطأ البائعون أو المشترون على ثمن ينتفعون منه، وكان الثمن غير عادل. التسعير هنا يسير على وفق المبدأ الإسلامي المتمثل في قوله (ص) :

«لا ضرر ولا ضرار»

فهو لا يضرّ البائع، ولا يُصيب ضرره المستهلكين. وقد منع النبي (ص) ، بوصفه ولي الأمر، التسعير في المدينة ومعاقبة المحتكر، لأن الظرف لم يكن يوجب ذلك، ولكن أمير المؤمنين علياً (ع) أمر بالتسعير في عهده إلى مالك بن الأشتر واليه على مصر. فبعد أن أوصى أمير المؤمنين علي (ع) بالتجار عقب ذلك قائلاً: « واعلم- مع ذلك - أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في المبيعات. وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة. فامنع من الاحتكار فان رسول الله (ص) منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا تحف بالفريقين: من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه، فنكل به، وعاقبه في غير إسراف ».

٤- تحقيق العدل الاجتماعي:

تحقق الدولة العدل الاجتماعي عن طريق: توفير تكافؤ الفرص، والضمان الاجتماعي بشقيه: التكافل الاجتماعي، والتوازن الاقتصادي.

٥- توفير تكافؤ الفرص:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ الحجرات: ١٣

وقال الرسول (ص): (الناس سواسية كأسنان المشط) و (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) فالناس في الإسلام متساوون في الواجبات متساوون في الحقوق وكذلك في العقوبات. فكل إنسان له الحق في «مائدة الله» التي جعلها للبشر جميعاً. وفي الغالب فان وسيلة الإنسان إلى اكتساب هذا الحق هي العمل وبذل الجهد. لا يمنع من ذلك احتكار أو احتجار أو إقطاع. فالاحتكار محرّم. والاحتجار مباح لمن هو قادر على إعماره ولدة لا تزيد على ثلاث سنوات، وكذا إقطاع الأرض لمن يعمرها. بالقدر الذي يستطيع إعماره.

٦- الضمان الاجتماعي:

فرض الإسلام على الدولة ضمان معيشة أفراد المجتمع ضماناً كاملاً، والدولة- عادة-

تقوم بهذه المهمة على مرحلتين: في المرحلة الأولى تؤدي الدولة واجبها بتهيئة وسائل العمل (مصادر الرزق) وفرصة المساهمة الكريمة في النشاط الاقتصادي المثمر. ليعيش على أساس عمله وجهده. أما إذا كان الفرد عاجزاً عن العمل، وكسب معيشته بنفسه كسباً كاملاً، أو كانت الدولة في ظرف استثنائي لا يمكنها منحه فرصة العمل، فقد جاء دور المرحلة الثانية، التي تمارس فيها الدولة تطبيق الضمان، وذلك عن طريق تهيئة المال الكافي لسد حاجات الفرد، وتوفير حدٍّ من المعيشة لا يقل كثيراً عن مستوى أخوانه من أبناء المجتمع. فمبدأ الضمان الاجتماعي - في الاقتصاد الإسلامي - يركز في أساسين، أحدهما: التكافل الاجتماعي. والآخر: حق الجماعة في موارد الدولة العامة.

٧- التكافل الاجتماعي:

«التكافل» في الإسلام نظام فطري يستمدُّ وجوده من سنن الله التي تربط بين فطرة الإنسان وسنن الكون. فكفالة الوالد لأبنائه، أمر فطري يندفع إليه الإنسان اندفاعاً فطرياً، ومثل ذلك كفالته لأهل بيته، أو لأمه وأبيه، وإذا شئنا الحقَّ وجدنا في الإنسان رغبة في كفالة الجار الفقير، أو القريب الفقير على بعد داره، أو كفالة يتيم، فهو يرعاه كما يرعى أولاده. ويشمل هذا التكافل أيضاً المجتمع فتقوى بين أبنائه الروابط الأخوية. ومن المأثور عن الرسول (ص) قوله:

«أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمراً جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى».

وإذا أردنا أن نتوسع في شرح الحديث الشريف يكون معناه: أيما شعب أصبح وفيه جائع منهم، فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله (ص) والذمة هي الأمانة والعهد والضمان. ما يعني أن سبحانه وتعالى قد أوكلهم إلى أنفسهم وحجب عنهم رحمته، ولم يقتصر التكامل الاجتماعي على المسلمين فقط وإنما يشمل غير المسلمين من أهل الكتاب ما داموا في دار الإسلام.

لماذا يجب أن يعطي الغني الفقير؟

المال لله تعالى ونحن مستخلفون في أرضه. قال الإمام علي (ع): (إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم. فإن جاعوا. أو عروا. أو جهدوا. فبمنع الأغنياء. وحقَّ على الله أن يحاسبهم عليه يوم القيامة ويعذبهم عليه) وهذا الأمر ليس متروكاً لاختيار الأغنياء. إن شاؤوا أعطوا ونجوا.. وإن شاؤوا منعوا وعذبوا يوم القيامة. فالأصل أن يقوم ولي الأمر بجباية ذلك الحق. والله سبحانه يقول:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ التوبة: ١٠٣

وولي الأمر لابد له من أن يذكر الأغنياء بمسؤوليتهم أمام الله قبل أن يأمر أجهزته باستحصالها من الأغنياء القادرين. والكفالة التي أجملها الإمام علي(ع) تعني أنه فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويتكفلوا إعانتهم ، والسلطان يدفعهم للعمل بنظام الفطرة المرتبط بالسنن الألّية الكونية. إن لم تقم أموال الزكاة بهم ولا سائر أموال المسلمين بهم. فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه. ومن اللباس للشتاء والصيف. بمثل ذلك. وبمسكن يقيهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة.

التوازن في توزيع الدخل: ماذا نعني بالتوازن؟

نعني بالتوازن في الاقتصاد تقريب مستويات المعيشة. حتى لا يكون في المجتمع تناقض حاد بين فئتين من فئاته: فئة مُعدومةٌ محرومةٌ لاتكاد تسدُّ حاجاتها الأساسية. وفئة مُترفة متخمة مُرفهة. يجرها الترف إلى البطر والتفسخ.

لماذا يريد الإسلام هذا التقارب والتوازن ؟

قد جيب أن هذا هو منطق الفطرة. منطق مساواة الإنسان بأخيه الإنسان. فالإنسان في حاجاته الضرورية يتساوى مع أخيه الإنسان. وفي الإنسان نزوع دائم إلى رفع هذا

المستوى. فاذا استطاع الإنسان العامل النشط رفع مستواه فقد يقعد العجز أو الضعف أو الشيخوخة أو اليتيم أو الترميل بالآخرين عن رفع مستواهم. فيحلّ هذا التناقض الذي يرفضه الإسلام. ينطلق الإسلام في سعيه لإيجاد التوازن من حقيقتين هما فيه بديهيتان.

الحقيقة الأولى : أن البشر متفاوتون في الخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية. فهم يختلفون في الصبر والشجاعة، وفي قوة العزيمة وحدّة الذكاء وسرعة البديهة، وفي القدرة على الإبداع والابتكار. ويختلفون - كذلك - في قوة العضلات، وفي ثبات الأعصاب... وفي غير ذلك من مقومات الشخصية الانسانية.. فهي موزعة بدرجات متفاوتة على الأفراد وتختلف من فرد الى آخر. ويحاول قسم من الباحثين تفسير هذا التفاوت بسبب واحد هو العامل الاقتصادي. وهم يعدّون هذا التفاوت عرضاً نتيجة أحداث عرضية في تاريخ الإنسان. يرجع إلى أسباب كثيرة: منها القابلية الجسمية والفكرية والنفسية. والعلم يعترف بالوراثة، ومراحل نمو الإنسان وهو جنين، وما يعترّيه من أمراض الطفولة.. وعوامل كثيرة غيرها منها العوامل الاجتماعية، حتى لو سيطرنا على العامل الاقتصادي، وما يتبعه من تكافؤ فرص الثقافة والتفتح الاجتماعي، والتدريب المهني وحتى لو سيطرنا على العامل الاجتماعي ، فإنّ هذه الفوارق، وهذا التفاوت يبقى قائماً.

والحقيقة الثانية : التي يتخذها الإسلام أساساً لإقامة التوازن ان العمل يعد من أهم عوامل اكتساب الملكية في الاسلام، فالإنسان يملك بمقدار العمل الذي يقدمه. وباعتماد القاعدتين السابقتين يقرر الإسلام أن التوازن الاقتصادي هو التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة، لافي مستوى الدخل. ومعنى ذلك أن يكون المال موجوداً لدى أفراد المجتمع، متداولاً بينهم الى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام، مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد. لكنه ليس تناقضاً في المستوى، كالتناقضات بين مستوى المعيشة في المجتمع الرأسمالي.

وليس معنى ذلك أن الإسلام يوجد هذا التوازن في لحظة أو في مدة قصيرة. بل جعل هذا التوازن في مستوى المعيشة هدفاً تسعى إليه الدولة. في حدود صلاحياتها. والوصول إليه بمختلف الطرق والأساليب المشروعة. وقد كانت وسيلة الإسلام لتحقيق هذا التوازن. هي ضغط مستوى المعيشة من أعلى. بتحريم الإسراف. وضغط المستوى من أسفل. بالارتفاع بالأفراد الذين يحلون مستوى منخفضاً من المعيشة إلى مستوى أرفع بأخذ مبدأ التكافل الاجتماعي والتوازن الاقتصادي في المجتمع. وبذلك تتقارب المستويات حتى تندمج في مستوى واحد. قد يضم درجات. لكنه يخلو من التناقضات الحادة في مستويات المعيشة. إن الهدف الذي يسعى إليه الإسلام هو توفير الغنى لجميع الأفراد. وإذا كان التكافل الاجتماعي يضمن للفقراء الحد الأدنى من المعيشة. فإن التوازن الاقتصادي يوجب على الدولة رفع مستوى معيشتهم إلى المستوى الذي يعيشه غيرهم من أفراد المجتمع لهذا وجب أن تكون الدولة قادرة على تحقيق ذلك بتوفير الإمكانيات اللازمة وهي:

١. فرض ضرائب ثابتة تؤخذ باستمرار وتنفق على المستوى العام.

٢. إيجاد قطاعات للدولة مثل الفيء ومزارع الدولة والمصانع وما تؤمه الدولة من المرافق. كل ذلك توجهه الدولة لتوفير المال اللازم للتوازن الاقتصادي.
٣. طبيعة أحكام الشريعة الإسلامية التي حرّمت طرق الكسب غير المشروع كالربا والاحتكار والغش والتدليس ومنع الاكتناز. وتوزيع الإرث. لقد أدرك المسلمون الأوائل أهمية التقارب في المستوى المعيشي بين الناس ولقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية وجوب هذا التقارب.

قال البلاذري في «فتوح البلدان»: «لما ظهر أي رسول الله (ص): على أموال بني النضير قال للأَنْصار: **«إنه ليس لإخوانكم المهاجرين أموال. فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً».**

وان شئتم أمسكتهم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة. فقالوا:

بل اقسم هذه فيهم. واقسم لهم من أموالنا ما شئتم» ونزلت الآيات الكريمات على رسول الله (ص):

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ الحشر: ٧ - ١٠

لقد حسم القرآن الكريم الأمر (بتقريب الفوارق). وأثنى على الأنصار وذكرهم بخير يستحقونه لمواقفهم تلك، وإيمانهم بضرورة تذويب الفوارق .

المناقشة

- ١- عدد الوظائف الاقتصادية للدولة وتحدث عن توفير تكافؤ الفرص.
- ٢- متى يحق للدولة التدخل في تحديد الاسعار ؟
- ٣- قال(ص): (أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) على ماذا يدل هذا الحديث الشريف ؟
- ٤- ما واجب المسلم الغني تجاه الفقير ؟
- ٥- ينطلق الاسلام في سعيه لايجاد التوافق بين الدخول في حقيقتين، ما هما ؟

الدرس الخامس: التهذيب ((التكبر))

هو الإعجاب بالنفس والتعاضم على الآخرين بالقول أو الفعل ، وهو من أخطر الأمراض الخلقية ، وأكثر ما يجعل المرء مبغوضا لدى الآخرين ومحط مقتهم وازدراءهم به ونفرتهم منه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ لقمان: ١٨

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ الزمر: ٦٠

وعن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : مرَّ رسول الله (ص) على جماعة فقال: على ما اجتمعتم ؟ فقالوا : يارسول الله هذا مجنون يُصرع ، فاجتمعنا عليه . فقال : ليس هذا بمجنون ، لكنه المبتلى . ثم قال : ألا أخبركم بالمجنون حقَّ الجنون ، قالوا : بلى يارسول الله .

قال : ((المتبخر في مشيه، الناظر في عطفه، المحرك جنبيه بمنكبيه ، يتمنى على الله جنته ، وهو يعصيه ، الذي لا يؤمن شرّه ، ولا يرجى خيره، فذلك المجنون المبتلى)

ويروى أنه قد وقع بين سلمان المحمدي ورجل كلام وخصومة فقال الرجل

لسلمان : من أنت ياسلمان ؟ فقال سلمان : أما أولي وأولك فنطفة قذرة ، وأما آخري وآخرك فجيفة منتنة ، فاذا كان يوم القيامة ، ووضعت الموازين ، فمن ثقل ميزانه فهو الكريم ، ومن خف ميزانه فهو اللئيم)

أسباب التكبر

١. التكبر يكون لنقص أو ذلة في الإنسان .
٢. العُجْب : فمن أعجب بنفسه وبعلمه أو بأي شيء آخر استعظم ذلك في نفسه وتكبر .
٣. الحقد والحسد للآخرين فيتكبر عليهم محاولاً إقناع نفسه بأنه أفضل منهم شأنًا .
٤. الرياء وعدم الإخلاص لله تعالى فلو أخلص في عمله لتدلل لله وامثل أوامره بالتواضع ولكن عمله كان للناس لذلك يتكبر على بعضهم .

نتائج التكبر

١. يشيع التكبر روح الحقد والبغضاء ، ويعكر صفو العلاقات الاجتماعية ، والتكبر داء يشقي صاحبه ويجعله منبوذا يعاني مرارة العزلة والوحشة ومن مساوئه:
 ١. انتشار البغضاء والكراهية بين الناس .
 ٢. التكبر يعدّ معصية للخالق وعدم شكره على نعمته التي أنعم بها عز وجلّ عليه .
 ٣. ضياع القدر وعدم شعور المتكبر بالأمان والاحترام .
 ٤. ليس للمتكبر صديق .
 ٥. الحرص والكبر والحسد مدخل لكل الذنوب .
 ٦. التكبر نشر لردائل الأخلاق .
 ٧. التكبر يوجب مقت الله عز وجلّ للمتكبر .

علاج التكبر

١. أن يعرف المتكبر واقعه وما يتصف به من ألوان الضعف والعجز فأوله نطفة قذرة. وآخره جيفة منتنة. وهو بينهما عاجز واهن يرهقه الجوع والظما ، ويصيبه المرض والألم وينتابه الفقر والضرّ ولذلك فعليه أن ينبذ الأنانية والتكبر.
٢. أن يتذكر مآثر التواضع ومحاسنه ومساوئ التكبر وآثامه.
٣. أن يعود نفسه التواضع.
٤. على العاقل عند احتدام الجدل والنقاش أن يذعن للحق إذا ما أيده الدليل ، وأن يترك العناد والتكبر.
٥. أن يتفادى منافسة الأقران في السبق على دخول المحافل والتصدر في المجالس.
٦. أن يخالط الفقراء والبوساء. ويبدأهم بالسلام ويؤاكلهم على المائدة ، ويجب دعوتهم .

مناقشة

١. ما التكبر؟
٢. استشهد بآية على بغض الله للتكبر والمتكبرين.
٣. ما أسباب التكبر؟
٤. ما نتائج التكبر؟
٥. كيف يعالج التكبر؟
٦. وصف سلمان الحمدي الإنسان ومنزلته وضح ذلك.
٧. مَنْ المجنون الذي أشار إليه الحديث الشريف؟

الوحدة الخامسة
الدرس الأول: من القرآن الكريم

من سورة الأنبياء:

الآيات (١-٢٥) (آيات الحفظ) (١-٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مِّن رَّبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۚ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِنَا بَيِّنَاتٍ كَمَا أَرْسَلْنَا نُوحًا الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلُ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَاءِ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ

﴿٢٥﴾

صدق الله العلي العظيم

معاني الكلمات

الكلمة	معناها
من ذكر	شيء من القرآن
لاهيّة	منشغلة بالباطل
محدث	جديد إنزاله .
أسرّوا النجوى	يحدث بعضهم بعضاً سرّاً بصوت منخفض .
أضغاث أحلام	مجرد أخلاط رآها في المنام.
افتراه	اختلقه كذباً ولم يوح إليه.
أهل الذكر	أهل المعرفة بالتوراة والأنجيل.
جسداً	أي أجساداً آدمية.
المسرفين	المتجاوزين في الظل والشرك والمعاصي
كتابا فيه ذكركم	قرآنا فيه ما يشرفكم ويذيع صيتكم لأنه بلغتكم.
قصمنا	أهلكنا .
أحسوا بأسنا	شعروا بظهور العذاب .
أترفتم فيه	ما تنعمتم به .
حصيدا	كالزراع المحصود.
خامدين	لا حركة لهم خمدت أنفاسهم فماتوا.
لهوا	ما يتلهى به من زوجة أو ولد أو غيرهما.
من لدنا	من عندنا .
نقذف	نرمي بقوة .
فيدمغه	يحرقه ويدحضه.
زاهق	هالك.
ومن عنده	الملائكة.
آلهة من الأرض	آلهة تتخذ من عناصر الأرض
هم ينشرون	هم يحيون الموتى.
لفسدنا	لاختل نظامهما

المعنى العام :

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾

يؤكد الله تعالى اقتراب وقت حساب الناس على أعمالهم. ومع ذلك فالكفار معرضون عن الهدى والاستعداد ليوم الحساب يعيشون لاهين غافلين عن ذلك اليوم الرهيب .

مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَّاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾

وما يأتيهم شيء من الوحي والقرآن يتلى عليهم فيه عظة وتذكير، إلا كان سماعهم له سماع لعب واستهزاء. فقلوبهم ساهية غافلة عن كلام الله، وكان كفار قريش يقولون فيما بينهم خفية: إنَّ محمداً الذي يدّعي الرسالة هو شخص مثلهم، لا يختلف عنهم في شيء. وأنَّ ما جاء به من القرآن سحر، فكيف تتبعونه، وأنتم تبصرون أنه مثلكم؟

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾

ردّ النبي (ص) قائلاً: إن ربّي يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم ما أسرّتموه من حديثكم وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم، وفي هذا تهديد لهم ووعد.

بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِئْنَا نَبَايَةَ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

بل جحد الكفار القرآن فمن قائل: إنه أخلط أحلام لاحقيقة لها، ومن قائل: إنه اختلاق وكذب وليس وحياً، ومن قائل: إن محمداً شاعر. وهذا الذي جاء به شعر، وإن أراد أن نصدقه فليأتنا بمعجزة خارقة كناقصة صالح: وآيات موسى وعيسى (ع)، وما جاء به الرسل من قبله.

مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

ما آمنت قبل كفار (مكة) من قرية طلب أهلها المعجزات من رسولهم وحققت، بل كذبوا، فأهلكناهم، أفيؤمن كفار (مكة) إذا حققت المعجزات التي طلبوها؟ كلا إنهم لا يؤمنون. وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رسلاً من البشر نوحى إليهم، ولم نرسل ملائكة، فاسألوا- يا كفار (مكة)- أهل العلم بالتوراة والإنجيل، ولم نجعل أولئك المرسلين قبلك خارجين عن طباع البشر، لا يأكلون ولا يشربون، بل هم كسائر البشر، وما كانوا خالدين لا يموتون، ثم صدقنا الأنبياء ما وعدناهم به من نصرهم وإهلاك مكذبيهم المجاوزين الحد في الكفر والضلال.

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

لقد أنزلنا إليكم هذا القرآن الذي فيه عرّكم وشرفكم في الدنيا والآخرة إن تذكّرتم به، أفلا تعقلون هذه النعمة وما فضلناكم به على غيركم؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ

فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ ﴿الأنبياء: ١١ - ١٥﴾

وما أكثر القرى الظالمة التي أهلكها الله بكفرهم آيات الله وتكذيبهم رسوله. فأهلكهم الله بعذاب آبائهم جميعاً، وأوجد بعدهم قوماً آخرين سواهم. فلما رأى هؤلاء الظالمون عذاب الله الشديد نازلاً بهم، وشاهدوا بوادره، إذا هم من قريتهم يسرعون هاربين.

فنودي عليهم. وهم في هذه الحال، لათهريوا وارجعوا إلى ما كنتم فيه من النعمة والسرور لعلكم تسألون عن دنياكم شيئاً. وذلك على وجه السخرية والاستهزاء بهم فلم يكن لهم من جواب إلا اعترافهم بجرمهم وقولهم: ياهلاكنا. فقد ظلمنا أنفسنا بكفرنا. فما زالت تلك الكلمات التي قالوها يكررونها ويرددونها حتى اهلكهم الله بالعذاب وجعلهم كالزرع المحصود خامدين لاحياة فيهم .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًا لَآتَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٧﴾

وما خلق الله السماء والأرض: وما بينهما عبثاً وباطلاً. وإنما خلقهما دلالة على قدرته ووحدانيته ليعتبر الناس . ويستدلّون بالخلق على وجود الخالق الذي لاتصحّ العبادة إلا له. لو أراد الله أن يتخذ لهواً من الولد أو صاحبة لاتخذه من عنده لا من عندكم. وما كان الله ليفعل ذلك . لاستحالة أن يكون له ولد أو صاحبة أو مثيل فهو أجل وأعظم عن اللهو والعبث.

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ أَكْثَرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

إن الله تعالى يرمي بالحقّ المبين، فيدحض الباطل، فاذا هو ذاهب مضمحل. ولكم العذاب في الآخرة- أيها المشركون- من وصفكم الله تعالى بغير صفته اللائقة به. والله- سبحانه - كلُّ من في السماوات والأرض لا يحصيهم إلا الله ، والذي عنده، من الملائكة، لا يستكبرون عن عبادته ، ولا يملّونها ولا يقصرون فيها كما يستكبر هؤلاء المشركون . فكيف يجوز أن يشرك به ما هو عبده وخلقه؟ فهم في عبادة دائمة يذكرون الله وينزهونه ليل نهار لا يضعفون ولا يسأمون .

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾

كيف يصحّ للمشركين أن يتخذوا آلهة عاجزة من الأرض لاتقدر على إحياء الموتى، ولو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله - سبحانه وتعالى- تدبّر شؤونها، لاختل نظامها ولوقع الاضطراب والفساد لفقدان التناسق ولذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ' فالكون قائم على النظام الواحد ولو تعددت الآلهة لانعدمت الوحدة التي تنسق نظام الكون الواحد ، فتنزه الله ربّ العرش، وتقدّس عما يصفه الجاحدون الكافرون من وجود الشريك والزوجة والولد. ومن دلائل تفرّده - سبحانه- بالخلق والعبادة أنه لايسأل عما يفعل لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه مايريد. ولاينبغي لأحد أن يعترض على حكمه لعدله وحكمته جلّ وعلا وجميع خلقه يسألون عن أعمالهم لأنهم عبيده - سبحانه -

أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

هل اتخذ هؤلاء المشركون من غير الله آلهة تنفع وتضرّ وتحيي وتميت؟ قل- أيها الرسول- لهم : ائتوني بالحجة والبرهان على صحة اتخاذ الآلهة من الأصنام ولاسبيل

، إلى ذلك (لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا)، وليس في القرآن الذي جئت به، والكتب السابقة دليل على ماذهبتم إليه، وما أشركوا إلاّ جهلاً وتقليداً، فهم معرضون عن الحق منكرون له.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

وما أرسلنا من رسول قبلك ، إلاّ أوحينا إليه انه لا إله إلا الله فاعبدوه وحده، فالتوحيد أساس الدين ، وقد بعث الله جميع رسله ليدعو إلى توحيده، فأخلصوا العبادة له وحده.

أهم ما يرشد إليه النصّ

١. إن وقت حساب الناس على أعمالهم قد قرب ودنا، وهم مستغرقون في ملذاتهم من مغريات الحياة، غافلون عن ذلك اليوم الرهيب.
٢. إن الكافرين المكذبين، يشهدون هلاك الأمم السابقة، ولكنهم لا يعتبرون ولا يتعظون، حتى إذا ما فاجأهم العذاب، رفعوا أصواتهم بالتضرع والاستعانة ولكن هيهات، لذا يجب على الناس أن تضع الآخرة نصب أعينها وتعمل لها لتنال الجزاء الأوفى.
٣. أن خلق السماء والأرض ليس عبثاً وباطلاً، وإنما هو دلالة على قدرة الله ووحدانيته ليعتبر الناس، ويعلموا أن الذي خلق ذلك لا يشبهه شيء وهو القوي القادر .
٤. أن الله - سبحانه - واحد أحد، ولو كان في الوجود آلهة غير الله لفسد نظام الكون كله لما يحدث بين الآلهة من الاختلاف والتنازع في الخلق والتدبير.

المناقشة:

١. الناس في غفلاتهم.....ورحى المنية تطحن.
هذا البيت الشعري يقارب مع ما جاء في السورة الكريمة. أشر الى المواضع التي قلّد الشاعر: فيها النص القرآني.
٢. اكتب قطعة قصيرة لاتزيد على خمسة عشر سطرًا. تبين فيها رأيك في أسباب غفلة بعض الناس عن أن يعملوا للآخرة ويستعدوا لها.
٣. كان المشركون يتناجون فيما بينهم سرًّا بشأن النبي محمد (ص). ورسالته. ما الذي كانوا يقولونه خفية؟ وما الذي تردّ به عليهم؟
٤. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ؕ﴾
عَاخِرِينَ ﴿١١﴾ الأنبياء: ١١

- استذكر نماذج من هذه القرى والأقوام التي أهلكها الله- سبحانه- لأنهم كفروا بآيات الله وكذبوا رسله.
٥. ألا ترى أنه لا يوجد ملكان في بلد واحد. ولا رئيسان في دائرة واحدة؟
وإن وجدا. ما الذي سيحدث؟ ولو كان في الوجود آلهة غير الله. مالذي كان سيحدث؟



الدرس الثاني: من قصص القرآن

نبأ الفاسق

كان بنو المصطلق قد جمعوا لحرب رسول الله (ص) وكان قائدهم هو الحارث بن ابي ضرار فلما سمع رسول الله (ص) بذلك جهز الجيش لردّ عدوانهم وتركهم بعد ذلك مسلمين. واسلم بنو المصطلق وقد تزوج رسول الله (ص) بنت قائدهم ، ليقوي علاقته بهم ولما رجع رسول الله (ص) إلى المدينة أرسل إليهم الوليد بن عتبة ليأخذ الصدقات من أغنيائهم ، فيردّها إلى فقرائهم . ولما سمعوا بقدومه تهيأوا لاستقباله ، وخرجوا للاحتفاء به ، وكان بين الوليد وبنو المصطلق إحناً قديمة. وغلّ موروث ، ويبغون به كيداً ، فرجع إلى رسول الله يزعم أن القوم قد ارتدوا عن الإسلام ، وامتنعوا عن إيتاء الزكاة. وانهم وقعوا في الخطيئة العظمى.

فغضب الرسول (ص). وغضب لغضبه المسلمون ، ثم تهيأ لغزوهم ، وردّهم على اعقابهم. ولكن الخبر سرى إلى بني المصطلق. وهم برأء ما رماهم به الوليد بعيدون عما وصل من أمرهم إلى رسول الله (ص). إذ ما برحوا مسلمين حقاً. قائمين على قواعد الإسلام صدقاً. ثم ألّفوا وفدهم. فذهب إلى الرسول (ص). وكان متهيئاً لغزوهم. متحفزاً للمسير. فقالوا: يا رسول الله (ص). إنا ما خرجنا إليه لنقتل رسولك حين بعثته لكننا خرجنا إليه لنكرمه. ونؤدي إليه ما عندنا من الصدقة فرجع ولم نجدّه. ثم بلغنا أنه زعم إليك. أنا خرجنا إليه لنقتله ، وإنا ما ارتدنا عن الاسلام ، وما امتنعنا عن الزكاة ، وما كفرنا بالله منذ آمنّا ، ولا انسلخنا عن الاسلام منذ دخلنا فيه. فوقف رسول الله (ص) بين خبر الوليد وخبرهم لا يقضي بأمر. ولا يفصل بحكم حتى نزل عليه قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيْهِمْ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ الحجرات: ٦ - ٧

اهم الدروس والعبر

١. وجوب التثبت والتأكد من الأخبار. وعدم إذاعتها قبل التأكد من صحتها.
٢. عدم التسرع في اتخاذ القرارات والأحكام .
٣. زواج رسول الله (ص) من جويرة بنت الحارث كان لتوطيد علاقته بقومها وكذلك كانت اغلب زيجاته.

المناقشة

١. تكلم على غزو رسول الله لبني المصطلق . ومن قائدهم ؟
٢. مَنْ أرسل رسول الله (ص) لأخذ الزكاة ؟ وما كان فعله؟
٣. تكلم على انكشاف أمر الفاسق.
٤. اذكر الآية الكريمة التي جاءت بشأن الفاسق؟



الدرس الثالث: من الحديث الشريف ((حسن الخلق))

للشرح والحفظ

قال النبي (ص) :

أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا، وَخِيَارُكُمْ، خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ .
صدق رسول الله

شرح الحديث

صدق رسول الله (ص): ليس الإيمان بالإدعاء ولا بالتمني ولا بالمظاهر.. ولكن بالعمل..
ولا يكفي العمل الظاهري.. من دون تأثيره وإثمار لنتائجه وتطبيق رُوحه واعتقادي له..
والبرهان على الإيمان وصحته وكماله: حُسن الخلق، ولطف المعاملة.. أي التعامل مع الناس.
فقد قال (ص) : (الدين المعاملة) و(الدين حسن الخلق)

أي: إن من أركان الدين المهمة حسنُ الخلق.. فالخلق الحسن الذي يكون عليه
المؤمن دليل الإيمان الكامل. وإن الترقّي في الحياة.. انما يكون بالتماسِ أسمى
السُّبُل نحو السُّمُو الخُلقي

قال (ص) : (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)

وقال (ص) أيضاً: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا وَخَالَقِ
النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ). والإسلام دين الحق).

قال (ص): (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) .

فالإسلام العظيم: لم يترك شاردة، ولا واردة، ولا صغيرة ولا كبيرة. في كل ما يؤدي بالمسلم إلى الخلق القويم إلا وبينها ودعا إليها وأمر بها. فالإسلام جاء أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. قال تعالى:-

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) آل عمران: ١٠٤

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منتهى الخلق الرفيع والإسلام دين محبة.. والمحبة خلق حسن، والإسلام دين إثارة ونبذ الأنانية.

قال (ص): لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

أمر الإسلام بطاعة الوالدين، وبالعطف على الصغير والضعيف، وأوصى بالجار والصديق وبأداء الأمانات وصيانة الحرمات وأمر بالعدل، ونهى ديننا الحنيف عن الغيبة والنميمة والحسد والنفاق والشفق والخصام، وتلك سمة الإسلام ومراده... فهو دين الأخلاق الحميدة ولذا فالمؤمن خلوق.. وسيرة رسول الله (ص) هي الإسوة الحسنة للمؤمن، فأخلاق الرسول (ص) هي المثال الكامل للإنسانية جمعاء، وهو الذي قال تعالى في حقه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) القلم: ٤

فعلى المسلم الذي يريد الوصول بنفسه إلى الإيمان الكامل أن يسمو بأخلاقه، ويتخذ من خلق النبي (ص) انموذجاً فريداً أن يقتدى به.

والشطر الثاني من الحديث الشريف: الوصية بالنساء فالمرأة الصالحة جديرة بكل رعاية. وقد شدد (ص) الوصية بالمرأة في مناسبات عديدة اعترافاً بأهمية المرأة في المجتمع وفي بناء الأسرة.. فالمرأة ذراع الرجل وساعده، وهي الأم والأخت والزوجة والابنة، التي وجبت رعايتها. فالمرأة ولاسيما الزوجة: هي الراعية في بيت زوجها... في أسرتها. والأسرة نواة المجتمع. وهكذا فالمرأة هي راعية لنواة المجتمع، وعليها

يتوقف تماسك الأسرة (بالدرجة الأولى) . وترابط العائلة ولقد وصف القرآن الكريم أدق وصف في قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (٢١) الروم: ٢١

هذا الرباط اذن هو : المودة والرحمة ، فيشعر الزوج في كنف الزوجية بالطمأنينة والهدوء النفسي ، فتسكن روحه وتهدأ .. وتنمو المحبة وتزدهر المودة. فينعكس ذلك على جو الأسرة كلها .. وهكذا يجب أن تكون العلاقة الأسرية.

والزوج مُطالب برعاية زوجته ، بإحسان معاملتها برفق وحنان واحترام ومؤازرة ومعروف.

وللزوجة حقوق مادية ومعنوية كاملة كفلها الإسلام قبل أربعة عشر قرناً ... كفل حقوق الزوجة .. بل حقوق المرأة عموماً ... فالإسلام هو السبّاق إلى ذلك فقد صان المرأة وقدرها حق قدرها . وعلى هذا فمن كرم أخلاق المسلم التي تبرهن على إيمانه ، ورجولته رعايته وحنوه وعطفه على زوجته ، وكفالتها مادياً ومعنوياً... ومعاملتها بمنتهى الخلق والصبر والود .. وعلى المرأة الصالحة تترتب الشروط والخصال نفسها .. فعليها الحرص على تحصين زوجها وكسبه وإسعاده بخدمة بيتها واحترامه وطاعته في المعروف ومعاضدته في كلّ ما هو خير وحفظ ماله وعرضه ، وأن تسعى لتخفيف أعباء الحياة عنه.

فيكون كلّ منهما مكّماً للآخر مخفّفاً عنه ومعيناً له. فتسعد الأسرة ويهنأ عيشها.

وهكذا فالإسلام يبارك الأسرة المتماسكة المتحابّة ويحثّ على زيادة تماسكها ويحذر من الخلاف والشقاق وسوء الخلق والتعامل الذي يهدّد كيان الأسرة. ويحذر أشدّ التحذير من الطلاق ومايجرّه من ويلات ومتاعب على الزوجين والأبناء وعلى المجتمع . فالطلاق وإن كان حلالا , لكنه أبغض الحلال إلى الله تعالى , قال رسول الله (ص):

(أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاق)

وقد نفّر الإسلام من الطلاق ولم يحبّذه إلا للضرورة القصوى التي لاينفع معها إصلاح ذات البين .

وعلى هذا فالمرأة الصالحة خير مافي العمر من رفقة , وصالح المرأة في إسلامها وطاعتها لأوامر الله تعالى , وبهذا تكون خير رفيق للزوج. بل وخير أم وخير أخت وخير إنسان.

أهم مايرشد إليه الحديث :

١. الإيمان بالله ينعكس من شعور , واعتقاد ذاتي , في الإنسان المؤمن , إلى تطبيق عملي في كلّ أقوال المؤمن وأفعاله فليس الإيمان إدعاء ... ولا هو بالمظاهر الخارجية فقط بل هو بالإيمان الذي يكون أساس كلّ فضيلة .

٢. الإسلام دينُ الخلق والأخلاق.. ودعا ديننا الحنيف إلى التزام الأخلاق في كلّ مناسبة فالإيمان والأخلاق , صنوان متفقان , لايفترقان ,

٣. الواجب على الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ووسائل الإعلام .. أن يلتفتوا جميعا إلى غرس الخلق القويم في النشء ويعيروا التربية الأخلاقية الصالحة ماتستحقه من إهتمام وتركيز فحسن الخلق منبع أعمال الخير في الفرد والجماعة.

٤. الإثم قبيح وعواقبه وخيمة فعلى الأمة أن تتعاون في القضاء عليه واجتثاثه أينما وجد وفي أي شكل كان , وأن تزرع الإيمان في النفوس فهو الكفيل في القضاء على الإثم والعدوان ومحوهما.

٥. رعاية المرأة عموماً والزوجة خصوصاً والحنوّ عليها واجب مقدس من واجبات المسلم وهذه الرعاية هي أساس من أسس المفاضلة فخير المسلمين خيرهم لنسائهم ، كما نص على ذلك الحديث الشريف.

٦. يقف الإسلام من المرأة موقف الاعتزاز بها ، والتقدير لمواهبها مع رعايته لطبيعتها وما يناسبها من مجالات العمل فالمرأة نصف المجتمع ، ولاغنى للمجتمع عن مساهمتها في المنافع والخير من الأعمال. ومن الخير للمرأة أن تراعي روح الإسلام في توجهها إلى الميادين التي تبرز فيها مواهبها.

المناقشة

١. ما البرهان على الإيمان وعلى صحته وكماله ؟
٢. لماذا أكّد نبينا محمد (ص) الوصية بالمرأة في مناسبات عديدة؟
٤. بماذا يوصينا الله تعالى في الآية الكريمة :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) آل عمران: ١٠٤

الدرس الرابع: الأبحاث التسامح والتعايش السلمي

السَّامِحَةُ هي الجود (سَمَحَ بِهِ) أي جاد به. وَالْمُسَامِحَةُ الْمُسَاهِلَةُ، وتسامحوا تَسَاهَلُوا. وهو قريب من الصفح والعفو :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥) الحجر: ٨٥

والتسامح في الاصطلاح : احترام حرية الآخر، وطرق تفكيره وسلوكه، وآرائه السياسية، والدينية. أو هو قبول آراء الآخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف. إن التسامح خلق إنساني أصيل دعا إليه الإسلام : لأنه يحفظ تماسك الأوطان والمجتمعات وينشر الأمن والطمأنينة فيها فيرفع الحرج في العلاقات بين الناس ويجعل الإنسان يترفع عن الكره والبغضاء وروح الثأر والانتقام . فهذه صفات تفسد الحياة البشرية على الأرض وتدمرها . وتقطع سبل التفاهم والتعاون بين الناس . لذلك يدعو الله سبحانه وتعالى إلى العفو والتسامح ونسيان الأحقاد والعمل بالحسنى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) فصلت: ٣٤ - ٣٥

وقد ضرب رسول (ص) المثل الأعلى في مسامحة أعدائه الذين حاربوا دعوته وأخرجوه من بلده وآذوه وحاولوا قتله . وعندما نصره الله عليهم يوم فتح مكة المكرمة. قال لقريش في حوار نموذجي بين المنتصر والمهزوم :

(ما تظنون أنني فاعل بكم) ؟ قالوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم. فقال (ص): (أقول لكم كما قال أخي يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم . اذهبوا فأنتم الطلقاء) . هذه هي المبادئ السامية التي وضعها الإسلام لتقوم

عليها العلاقات الإنسانية ، ويدور في ضوئها الحوار أياً كان نوعه وموضوعه وغايته ، وإذا أخذت المجتمعات والدول بهذه المبادئ في المحاورات فيما بينها تكون قد خطت الخطوة الصحيحة في حلّ المشكلات ، وتحقيق التعاون فيما بينها مصداقاً لقول الله جلّ شأنه :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المائدة: ٢

لذا فمن كان يؤمن بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد (ص) نبياً ، عليه أن يلتزم تعاليم الإسلام بنبذ العنف والغلظة ويتعامل على أساس احترام إنسانية الآخرين واحترام عقيدتهم وحقوقهم في اختيار انتمائهم فالله تعالى وهو الخالق العظيم ذي الجبروت يقول قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ البقرة: ٢٥٦ . فالإسلام سلم و سلام:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اُدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ البقرة: ٢٠٨

والعرق الانساني ينبع من أصل واحد هو آدم فكلكم لآدم وآدم من تراب قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ الإسراء: ٧٠

فالانسان مكرم لإنسانيته ، و الإمام علي (ع) يؤكد ذلك فيوصي (مالك الاشتر) واليه على مصر التي يكثر فيها أهل الذمة من النصارى فيقول له : (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان : إما أخ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق ..) وكذلك مافعله صحابة رسول الله (ص) فقد أعطى عمر (رض) أهل إيلياء وأهل القدس أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم. وأنهم لا يضطهدون بسبب نصرانيتهم ولا يضار أحد منهم .. ومن أحب من أهل الروم أن

يسيروا بأنفسهم وأموالهم إلى الروم ويخلوا بيعهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم وكثيرة هي القصص . المأثورة عن أهل بيت رسول (ص) الله وصحابة رسول الله (ص) التي يبينون فيها خلق الإسلام الرفيع في التسامح والرحمة .

التسامح والتعايش السلمي بين الأديان

يسجل مفهوم التسامح حضوره في عمق التجربة الإنسانية. ويتبدى في صيغ تتنوع بتنوع المجتمعات الإنسانية في إطار الزمان والمكان، والمراحل التاريخية. فقد عرفت الحضارات الإنسانية مفهوم التسامح، وما يقابله من مفاهيم العنف، والتعصب، والعدوان. وقد تجلّى هذا المفهوم في مختلف آداب الأديان السماوية السّمحاء قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٥٦

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ المائدة: ٤٨

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ ١١٩ ﴾ هود: ١١٨ - ١١٩

ولابدّ من الإشارة الى انه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم بغير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا توافق جوهر هذا الدين . فمفهوم التسامح يرتبط ارتباطاً عميقاً بمفهوم السلام، فالتسامح والسلام هما مفهوم واحد بوجهين متشابهين إلى حد كبير. ولقد كانت هناك ومضات مشرقة في تاريخنا الإسلامي حين يلتزم المجتمع قيم الإسلام، ويطبق تعاليمه وآدابه فتسود حالة الانسجام والتعاون

والتعايش بين التوجهات والانتماءات المختلفة عرقيا أو دينيا أو مذهبيا فسلوك الأئمة والفقهاء والمصلحين في الأمة قائم على أساس احترام التعددية والتنوع ، في المذاهب ... فالامام جعفر الصادق (ع) يأمر تلامذته عند أفتائهم للناس ، بأن لايتجاهلوا آراء المذاهب الأخرى عندما يكون السائل أو المستفتي تابعا لأحدها ، فقد قال لتلميذه : (أبان بن تغلب) وهو من خواص تلامذته ، (انظر ما علمت أنه من قولهم ، وأخبرهم بذلك) . كما أن الامام أباحنيفة النعمان قد تتلمذ على يدي الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) لعامين وقال في هذا : (لولا السنتان لهلك النعمان) مايدل على الاحترام والتفاهم القائم بين أئمة المذاهب الإسلامية .

لقد أثبتت التجارب الإنسانية والحوادث التاريخية حاجة المجتمعات الماسة إلى قيم التسامح والتعايش ، ففي القرن السادس عشر عانت أوروبا من الحروب والصراعات الدينية بين الكاثوليك ، والبروتستانت ، وانتهى الكاثوليك إلى التسامح مع البروتستانت ، على نحو متبادل .

خطر التطرف والتكفير واثارهما في تشويه الإسلام

لعل أشدّ الأخطار التي تهدد وطننا العراق هو الفتنة الطائفية التي يسعى المغرضون وأعداء الدين إلى بثها بين المسلمين من يشهدون أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ويتوجهون إلى قبلة واحدة هي الكعبة من أبناء المجتمع الواحد الذين جمعهم الدين وجمعتهم علاقات حميمة فتلاحم أفرادهم وجمعتهم المصاهرة والنسب ، فلقد سعى أعداء الدين الذين تقف خلفهم سياسات وغايات إقليمية واستعمارية الى قتل أبناء الشعب بأيدي ضعاف النفوس والجهلة والمرتزقة ومن خلال بثّ الفكر التكفيري البعيد عن قيم الاسلام بعد السماء عن الأرض فأولاً كان الإرهابي يُكفّر من لا ينتمي الى الإسلام من المسيحيين وغيرهم، ثم راح يُكفّر المسلمين من لا ينتمون الى طائفته وبعد ذلك صار يكفّر جميع من يخالفه في الرأي من أبناء مذهبه باتهامه بالردة والتخاذل وغيرها من الاتهامات الزائفة ، فأحرقوا الأرض والحرث والنسل وخلفوا اليتامى والأرامل كل ذلك باسم الإسلام وحتّى راية ظاهرها الإسلام وحقيقتها هدم الإسلام، فنتج عن ذلك :

١. تشويه صورة الإسلام وصورة المسلمين وإظهاره بوصفه دين ارهاب وقتل واستباحة للحُرُمات ، فقتلوا واغتصبوا الحقوق وانتهكوا الأعراض حتى اصبح غير المسلمين ينظرون لكل مسلم بانه ارهابي متخلف وقاتل ، في حين أن الإسلام جاء رحمة للعالمين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) الأنبياء: ١٠٧

ومثل ذلك في الحديث الشريف إذ يقول رسول الله (ص): المسلم من سلم الناس من لسانه ويده . وكلمة الناس تعني جميع الناس بلا استثناء .

٢. استباحة الحرمات وانتشار العنف والقتل والدمار وهدم المؤسسات والمقدسات .
٣. فقدان الأمن والطمأنينة ، وتهجير الأسر الآمنة ، وانهيار المجتمعات واستباحة الأوطان .
لذا وجب علينا رفض العنف والتطرف والفكر التكفيري وإن رفض العنف يجب أن ينبع من داخل الأفراد أنفسهم في المستوى الأول، لأن سعي الحكومات لوحدها لن يفيد أبداً بالغاية، وهذا يتطلب وجود إيمان كبير من الأفراد برفض العنف في مختلف صوره ومظاهره. ومن الناحية العملية ، فان كل تجارب فرض الأفكار والمعتقدات هي تجارب فاشلة وذات تأثير وقتي ومحدود. إن ماينتج عن هذا الفرض والرفض للآخر هو حالة العداء والصراع إذ يتحصن اتباع كل مذهب في خندق مذهبه ويعبئون أفرادهم تجاه المذهب الآخر وتزداد حالة التشنج والعداء ، وتحصل قطيعة وتنافر ، وتضطهد كل جهة الجهة الأخرى التي ستعمل بدورها للدفاع عن نفسها والانتقام من الطرف الآخر وهكذا يدخل المجتمع في نفق الصراع الداخلي ..

أنه منهج أئمة الاسلام وأعلام المسلمين المخلصين ، وهو مايدعو اليه العقل والمنطق السليم وتفرضه طبيعة الاشتراك في ظروف حياتية واحدة ، في وطن واحد ، وقال الإمام محمد الباقر (ع) :

(صلاح شأن الناس التعايش) . كيف ترتقي مجتمعاتنا الى مستوى التسامح والتعايش الحضاري؟ كيف نتسامى على عوامل الخلاف والتمزق، وأسباب القطيعة والتنافر؟ وكيف يكون تنوعنا وتعدد انتماءاتنا إثراء لتجاربنا وانضاجا لأرائنا وأفكارنا ؟ وكيف تتحقق الوحدة الإسلامية لكل مجتمع في بلاد المسلمين وعلى مستوى الأمة جمعاء؟ إن المسؤولية تقع على عاتق الجميع ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، كما

يقول رسول الله (ص) في الحديث الشريف.

وفي الدرجة الأولى فان الحاكمين في البلاد الإسلامية يتحملون مسؤولية رئيسة في توحيد شعوبهم ، وتوفير أجواء التعايش ، والانسجام بينهم، على أساس الحق والعدل ، ومنع أي تمييز قومي أو طائفي ، أن علماء الدين ينتظر منهم القيام بأهم دور في الدعوة الى الوحدة والوئام ، وتحذير الناس من النعرات القومية والفتن الطائفية ، ولايجوز أبدا أن يمارس عالم الدين دور إذكاء روح التعصب المذهبي بمسوغات واهية زائفة، وفي ذلك يقول الإمام جعفر الصادق (ع):

(فلا تخصموا الناس لدينكم فان الخاصمة مرضة للقلب).

أما رجال الفكر والأعلام فعليهم أن يوجهوا أقلامهم وجهودهم ، لإشاعة روح التسامح والتقارب ، ومحاربة توجهات التشدد والتطرف ، التي يغذيها الأعداء وينميها الجهل وأن لا يكونوا أدوات للأعداء. وأخيرا فإن كل مواطن واع ، يجب عليه تحمل مسؤوليته في صنع الوحدة الوطنية الإسلامية والانسانية بسلوكه القويم وتعامله السليم مع سائر أخوانه من أبناء البلد .

مفهوم التسامح

إن مفهوم التسامح يمثل جوهر مفهوم حقوق الإنسان ومنطلقه. فإن التسامح هو المشهد الإنساني الذي تغيب فيه مظاهر العنف، وتعلو فيه قيم السلام. وهذا يعني أننا أمام مفهومين يتنافيان تماما فالتسامح يعني غياب العنف والتعصب.

فالعنف والتعصب يعنيان غياب التسامح وبالتالي غياب السلام.

وإن تطبيق التسامح يعني ضرورة الاعتراف بان لكل واحد حقه في حرية اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه. كما يعني بأن لا أحد يفرض آراءه على الآخرين. فالتسامح هو قبول الآخر على علّاته.

وعكس التسامح هو التعصب. وتعد العنصرية أشكالا تنافي مبدأ التسامح والتعايش ، إن مهمة التسامح هي تأمين التعايش المشترك في وجود التباين والاختلاف.

ومن ثم الحفاظ عليهما، وحماية ما تنطويان عليه من قيم أساسية للوجود الإنساني. فالفرد الذي يكوّن علاقة سلمية مع الآخر خالية من كل أنواع التهديد والعنف والخوف. يجد نفسه في حالة سلم مع ذاته وحالة سلام مع كيانه الذاتي.

فالإنسان عندما يريد أن يحظى باحترام الآخر يجب عليه أن يبادله الاحترام في البداية. فنحن نحترم الآخر لنحظى باحترامه. واحترام الآخر هو محاولة إيجاد المسافة الصحيحة معه، وتلخيصاً لما يريده الجميع الذي نسعى اليه ، نقول:

١. نريد أن يحترم بعضنا بعضاً ونريد ضمان الحقوق والحريات للجميع.

٢. أن ندرك حرمة الانسان ، ونحترمها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

المائدة: ٣٢

٣. نريد أن نحيا على وفق منهج القيم العليا من الرحمة والمحبة والتعاون والسلام التي دعا اليها الإسلام و دعت اليه. كل الأديان.

٤. علينا أن نفهم أن حساب الناس على دينهم وانتمائهم يعود لله تعالى :

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

الغاشية: ٢٥ - ٢٦

٥. أن نسعى الى بناء مستقبل باسم والعيش في بلد آمن ومزدهر وحياة كريمة.

٦. نريد لشبابنا حياة آمنة سليمة من التطرف والغلو فيضمنوا بذلك سلامتهم وأمنهم وسعادتهم . وان كل مانسعى ونصبو إليه لن يتحقق الا إذا عمّ التسامح بيننا وتمكنا من التعايش السلمي أعزائنا الطلبة لقد منح الله الإنسان العقل ليميز بين الحق والباطل ، لذا وجب علينا عدم الانجراف خلف الادعاءات المغرضة وسبحانه وتعالى واهب الحياة وهو وحده له حق سلبها ، وان رسول الله (ص) في حجة الوداع قال : (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) . وعلينا أن ندرك أننا جميعا في قارب واحد من سعى الى إغراقه يكون قد غرق هو أيضا ، لذا وجب الحذر من كل فكر يدس السم بالعسل فما لا ترضاه لنفسك يجب أن لا ترضاه لغيرك ، فديننا الإسلامي الحنيف ، محبة وسلم وسلام وإغاثة ملهوف وأعانة المحتاج واحترام خصوصية الآخرين ، فهو أعظم الأديان وخاتمها وقد أدبنا في احترام الخصوصية الشخصية حتى في أبسط الأمور .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ النور: ٢٧

فاين هؤلاء الأدعياء من الإسلام الحق وهم يقطعون الطريق على الناس ويسلبونهم أموالهم ويستبيحون حرمتهم . ولقد رأينا كيف ضرب رسول الله (ص) أروع الأمثلة في التسامح مع غير المسلمين فكيف الحال مع المسلمين الذين حرمتهم كحرمة بيت الله بل أعظم كما جاء في حديث رسول الله (ص) .

المناقشة

١. استشهد من وقائع التاريخ الاسلامي بشواهد على عمق مفهوم التسامح في الإسلام.
٢. كيف ثبتت الحاجة الى التعايش والتسامح ؟
٣. ما الآثار التي يخلفها العنف والتطرف؟
٤. ما مفهوم التسامح؟

الدرس الخامس: التهذيب القناعة

القناعة: صفة كريمة ، تعرب عن عزة النفس ، وكرم الأخلاق وإن من أهم أسباب الشقاء هو غياب القناعة ، فحين تغيب القناعة يزداد التسخُّط في الناس وعدم الرضا بما رزقوا .
وحينئذ لا يرضيهم طعام يشبعهم ، ولا لباس يواريههم ، ولا مراكب تحملهم ، ولا مساكن تضمهم ؛ إذ يريدون الزيادة على ما يحتاجونه في كل شيء ، ولن يشبعهم شيء ؛ لأن أبصارهم وبصائرهم تنظر إلى من هم فوقهم في أمور دنياهم ، ولا تبصر من هم ختهم ؛ فيزدرون نعم الله عليهم ، ومهما أوتوا من نعم طلبوا المزيد ، فهم كشارب ماء البحر لا يرتوي أبداً . ومن كان كذلك فلن ينال السعادة أبداً ؛ لأن سعادته لا تتحقق إلا إذا أصبح أعلى الناس في كل شيء ، وهذا من أبعد المحال ؛ ذلك أن أي إنسان إن كملت له أشياء قصرت عنه أشياء ، وإن علا بأمور سفلت به أمور ، ويأبى الله - تعالى - الكمال المطلق لأحد من خلقه كائناً من كان ؛ لذا كانت القناعة والرضا من النعم العظيمة ، والمنح الجليلة التي تسعد أصحابها فهي رأس الغنى وسبب الراحة .
والقناعة : هي الرضا بما قسم الله والتعفف وترك السؤال . وقد ورد في تفسير قول الله عز وجل :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ ﴾
النحل: ٩٧

• أن المراد ب (حياة طيبة) القناعة في الدنيا . قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۗ ﴾ الحج: ٥٨ ، يعني القناعة .

وقيل في قوله: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ (١٣) الانفطار: ١٣ : هو القناعة في الدنيا .
وقال رسول الله (ص) :

« القناعة كنز لا يفنى »

فأن المرء قد تتوافر له نعم هي في ظاهرها تافهة ولكنها في باطنها خير جليل .

« من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » أي من أصبح ينعم بالأمن في دياره وصحة في بدنه ولديه طعام يومه فقد جمع خير الدنيا .

وقال أحد الشعراء:

أَفَادَنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عَزٍّ وَهَلْ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
فَصَيَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَصَيَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهُ
تَنَلَّ عِزًّا وَتَغْنَى عَنْ لَيْيَمٍ وَتَرَحَّلَ لِلجَنَانِ بِصُبْرِ سَاعَهُ

وعلى هذا المعنى فإن القناعة لا تمنع التاجر من تنمية تجارته، ولا أن يسعى المسلم في الأرض بطلب رزقه، ولا أن يسعى المرء فيما يعود عليه بالنفع؛ بل كل ذلك مطلوب ومرغوب. وإنما الذي ينافي القناعة أن يغش التاجر في تجارته، وأن يتسخط الموظف من مرتبته، وأن يتبرم العامل من مهنته، وأن ينافق المسؤول من أجل منصبه، وأن يتنازل الداعية عن دعوته أو يميّع مبدأه رغبة في مال أو جاه، وأن يحسد الأخ أخاه على نعمته، وأن يذل المرء نفسه لغير الله - تعالى - لحصول مرغوب. وليس القانع ذلك الذي يشكو خالقه ورازقه إلى الخلق، ولا الذي يتطلع إلى ما ليس له، ولا الذي يغضب إذا لم يبلغ ما تمنى من رُتب الدنيا؛ لأن الخير له قد يكون عكس ما تمنى.

وفي المقابل فإن القناعة لا تأبى أن يملك العبد مثاقيل الذهب والفضة، ولا أن يمتلئ صندوقه بالمال، ولا أن تمسك يداه الملايين؛ ولكن القناعة تأبى أن تلج هذه الأموال قلبه، وتملك عليه نفسه؛ حتى يمنح حق الله فيها ويمنع حق المحتاجين، ويتكاسل عن الطاعات، ويُفِرط في الفرائض من أجلها، ويرتكب المحرمات من ربا ورشوة وكسب خبيث حفاظا عليها أو تنمية لها.

فوائد القناعة

إن للقناعة فوائد كثيرة تعود على المرء بالسعادة والراحة والأمن والطمأنينة في الدنيا، ومن تلك الفوائد:

١ - امتلاء القلب بالإيمان بالله - سبحانه تعالى - والثقة به، والرضى بما قَدَّرَ وقَسَمَ، وقوة

اليقين بما عنده- سبحانه وتعالى- ذلك أن من قنع برزقه فإنما هو مؤمن ومتيقن بأن الله- تعالى- قد ضمن أرزاق العباد وقسمها بينهم ولو كان ذلك القانع لا يملك شيئاً.

٢- شكر الله تعالى على نعمه - فمن قنع برزقه شكر الله- تعالى- عليه. ومن لم يقنع قَصَّر في الشكر. وربما جزع وتسخط - والعياذ بالله- ولذا قال النبي -

{ كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس } .

ومن تسخط من رزقه فإنما هو يسخط على من رزقه. ومن شكّا قلته للخلق فإنما هو يشكو خالقه- سبحانه وتعالى- للخلق. وقد شكّا رجل إلى قوم ضيقاً في رزقه فقال له بعضهم: (شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك) .

٣- الفلاح والبشرى لمن قنع: إذ قال رسول الله - (ص) :

(طوبى لمن هُدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً، وقنع) .

٤- الوقاية من الذنوب التي تفتك بالقلب وتذهب الحسنات: كالحسد، والغيبة، والنميمة، والكذب، وغيرها من الخصال الذميمة والآثام العظيمة؛ ذلك أن ما يدفع إلى الوقوع في كثير من تلك الكبائر غالباً ما يكون الطمع في الدنيا أو دفع نقصها. فمن قنع برزقه لا يحتاج إلى ذلك الإثم، ولا يداخل قلبه حسد لإخوانه على ما أوتوا؛ لأنه رضي بما قسم الله تعالى له.

وقال بعض الحكماء:

«وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع».

٥- حقيقة الغنى في القناعة: ولذا رزقها الله- تعالى- نبيه محمداً (ص) وامتن عليه بها فقال تعالى:

{ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } الضحى: ٨

وذهب بعض المفسرين إلى أن الله- تعالى- جمع لرسوله الكريم له الغنائين: غنى القلب، وغنى المال بما يسر له من تجارة خديجة وبما فتح عليه بعد خيبر وغيرها.

وقد بين- (ص)- أن حقيقة الغنى غنى القلب فقال :

{ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس}.

وتلك حقيقة لا مرية فيها؛ فكم من غني عنده من المال ما يكفيه وولده، ولو عُمِّر ألف سنة؛ يخاطر بدينه وصحته، ويضحى بوقته يريد المزيد! وكم من فقير يرى أنه أغنى الناس؛ وهو لا يجد قوت غدِه! فالعلة في القلوب: رضى وجزعاً، واتساعاً وضيقاً، وليست في الفقر والغنى.

وقيل لبعض الحكماء: «ما الغنى؟» قال: «قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك» .
إن كان لا يغنيك ما يكفيك ... فكل ما في الأرض لا يغنيك

٦- العز في القناعة، والذل في الطمع: ذلك أن القانع لا يحتاج إلى الناس فلا يزال عزيزاً بينهم، والطماع يذل نفسه من أجل المزيد؛ ولذا جاء في الحديث الشريف:

{شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغنائه عن الناس} .

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يُجْزِيهِ كَانَ أَيْسَرُ مَا فِيهَا يَكْفِيهِ وَ مَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يُجْزِيهِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ يَكْفِيهِ .

والسيادة والرفعة لا يحصلها المرء إلا إذا استغنى عن الناس، وقنع بما عنده واحتاج الناس إليه في العلم والفتوى والوعظ.

قناعة النبي (ص)

لقد كان رسول الله (ص) أكمل الناس إيماناً و يقيناً، وأقواهم ثقة بالله- تعالى- وأصلحهم قلباً، وأكثرهم قناعة ورضى بالقليل، وأنداهم يداً، وأسخاهم نفساً إن الرسول (ص) رفض الدنيا بعد أن عُرِضت عليه، وأبأها بعد أن منحها. وما أعطاه الله من المال أنفقه في سبيله وقد قال (ص) :

{عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب؛ ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرك؛ وإذا شبعت شكرتك وحمدتك}.

السبيل إلى القناعة

التزام القناعة عسير على بني آدم- إلا من وفقه الله للهدى وكفاه شر نفسه وشحها وطمعها- لأن بني آدم مفسطرون على محبة التملك ؛ ولكن مجاهدة النفس مطلوبة لتخفيف طمعها وتقريبها من الزهد والقناعة. ولذلك طرق إذا سلكها العبد مع إخلاصه حققت له القناعة بإذن الله تعالى، فمن ذلك:

١- تقوية الإيمان بالله تعالى، وترويض القلب على القناعة وغنى النفس ؛ فإن حقيقة الفقر والغنى تكون في القلب؛ فمن كان غني القلب نعم بالسعادة وخلق بالرضى، وإن كان لا يجد قوت يومه، ومن كان فقير القلب؛ فإنه لو ملك الأرض ومن عليها إلا درهما واحدا لرأى أن غناه في ذلك الدرهم؛ فلا يزال فقيراً حتى يناله.

٢- اليقين بأن الرزق مكتوب منذ أن كان الإنسان في رحم أمه، والعبد مأمور بالسعي والاكتساب مع اليقين بأن الله هو الرازق وأن رزقه مكتوب.

٣- تدبر آيات القرآن العظيم ولا سيما الآيات التي تتحدث عن قضية الرزق والاكتساب.

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ فاطر: ٢

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ يونس: ١٠٧

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ هود: ٦

وقوله تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ الطلاق: ٧

٤- معرفة حكمة الله- سبحانه وتعالى- في تفاوت الأرزاق وال مراتب بين العباد: حتى تحصل عمارة الأرض، ويتبادل الناس المنافع والتجارات، ويخدم بعضهم بعضاً. قال تعالى:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٣٢) الزخرف: ٣٢

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٥) الأنعام: ١٦٥ .

٥- أن نسأل الله سبحانه وتعالى- ان يرزقنا القناعة، والإحلاح بالدعاء في ذلك فنبينا محمد (ص) وهو أكثر الناس قناعة وزهدًا ، وأقواهم إيمانًا و يقينًا؛ كان يسأل ربه القناعة ولأجل قناعته (ص) فإنه ما كان يسأل ربه إلا الكفاف من العيش.

٦- العلم بأن الرزق لا يخضع لمقاييس البشر من قوة الذكاء، وكثرة الحركة، وسعة المعارف، وإن كان بعضها أسبابًا؛ إلا أن الرزق ليس معلقًا بها بالضرورة. وهذا يجعل العبد أكثر قناعة خاصة عندما يرى من هو أقل منه خبرة وذكاء أو غير ذلك وأكثر منه رزقا فلا يحسده ولا يتبرم من رزقه.

٧- وجوب النظر إلى حال من هو أقل منك في أمور الدنيا، وعدم النظر إلى من هو فوقك فيها؛ ولذا قال النبي (ص):

{إذا رأى أحدكم من فوقه في المال والحسب فليُنظر إلى من هو دونه في المال والحسب}

وليس في الدنيا أحد لا يجد من هو أفضل منه في شيء، ومن هو أقل منه في أشياء؛ فإن كنت فقيرا ففي الناس من هو أفقر منك! وإن كنت مريضًا أو معذبا ففيهم من هو أشد منك مرضا وأكثر تعذيبًا. فلماذا ترفع رأسك لتنظر من هو فوقك، ولا تخفضه لتبصر من هو تحتك؟!

إن كنت تعرف من نال من المال والجاه ما لم تنله أنت وهو دونك ذكاءً ومعرفةً وخلقًا، فلم لا تذكر من أنت دونه أو مثله في ذلك كله وهو لم ينل بعض ما نلت؟!

٨- الاقتداء بسيرة رسول الله (ص) وال بيته الأظهار وصحبه الأخيار وتعرف أحوالهم مع الدنيا. وزهدهم فيها. وقناعتهم بالقليل منها. وهم قد أدركوا الكثير منها فرفضوه إيثارا للباقية (الآخرة) على العاجلة (الدنيا) : فإن معرفة أحوالهم. وكيف كانت حياتهم ومعيشتهم تحفز العبد إلى التأسى بهم. وترغبه في الآخرة. وتقلل عنده زخرف الحياة الدنيا ومُتَعِّها الزائلة.

٩- العلم بأن عاقبة الغنى شر ووبال على صاحبه إذا لم يكن الاكتساب والصرف منه بالطرق المشروعة. وقد قال النبي (ص) :

{ لا تزول قدما عبد حتى يسأل: عن عمره فيم أفناه. وعن علمه فيم فعل فيه. وعن ماله من أين اكتسبه. وفيم أنفق. وعن جسمه فيم أبلاه. }

فمشكلة المال أن الحساب عليه من جهتين:

جهة الاكتساب ثم جهة الإنفاق. وهذا ما يجعل تبعته عظيمة. وعاقبته وخيمة إلا من اتقى الله فيه وراعى حدود الله اكتساباً وإنفاقاً. ثم ليتفكر في أنه كلما تخفف من هذا المال وكان أقل كان حسابه أيسر. وأسرع. وذلك كمن سافر في الطائرة وحمل متاعاً كثيراً؛ فإنه إذا بلغ مقصده احتاج وقتاً طويلاً لاستلامه وتفتيشه بخلاف من كان خفيفاً ليس معه شيء. وحساب الآخرة أيسر. والوقوف فيها أطول.

ولينظر أيضاً إلى من كان المال والجاه سبب شقائه وأمراضه وهمومه وغمومه؛ فهو يشقى ويتعب في جمع المال ونيل المناصب. ثم يحمل هم الحفاظ على المال والمنصب فيقضي عمره مهتماً مغتماً.

ثم انظر ماذا يحدث له إذا خسر ماله أو أقيل من منصبه! وكم من شخص كان ذلك سبباً في هلاكه وعطبه! نسأل الله أن لا نكون من هؤلاء.

١٠- النظر في التفاوت اليسير بين الغني والفقير على وجه التحقيق؛ فالغني لا ينتفع إلا بالقليل من ماله. وهو ما يسد حاجته. وما فضلَ عن ذلك فليس له. وإن كان يملكه. فلو نظرنا إلى أغنى رجل في العالم نجد أنه لا يستطيع أن يأكل من الطعام أكثر مما يأكل متوسط الحال أو الفقير؛ بل ربما كان الفقير أكثر منه!!

وبعبارة أخرى: هل يستطيع الغني أن يشتري مائة وجبة فيأكلها في آن واحد.

أو مائة ثوب فيلبسها في آن واحد؛ أو ألف مركبة فيركبها في آن واحد؛ أو مائة دار فيسكنها في وقت واحد؟! كلا؛ بل له من الطعام في اليوم ثلاث وجبات تزيد قليلاً أو تنقص. وللمستور كذلك مثله. وله من اللباس ثلاث قطع تزيد قليلاً أو تنقص. ولا يستهلك من الأرض في وقت واحد إلا متراً في مترين سواء كان قائماً أم قاعداً أم مضطجعاً. فعلام يحسد وهو سيحاسب على كل ما يملك؟!!

فما أجمل القناعة ! فمن التزمها نال السعادة . وما أحوجنا إلى التحلي بها ! ولو حلى بها الناس لزالَت الضغائن والأحقاد . وحلت الإلفة والمودة ؛ إذ إن أكثر أسباب الخلاف والشقاق بين الناس بسبب الدنيا والتنافس عليها . وما ضعف الدين في القلوب إلا من مزاحمة الدنيا له . وصدق رسول الله (ص). حينما قال : **(والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)** .

بما تقدم ندرك أن القناعة سبيل إلى السعادة في الدارين : الدنيا والآخرة.

المناقشة :

١. ورد في تفسير العلماء للحياة الطيبة:

في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧) ٢. أذكر حديثاً نبوياً شريفاً يحث على القناعة.

٣. هل تعارض القناعة السعي ؟ وما الذي يعارضها؟

٤ . (من أصبح آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقها) ما المراد بهذا الحديث الشريف ؟

٥. ما السبيل إلى القناعة؟

٦. ما فوائد القناعة؟

الهامدة	الصفحة
مقدمه	٣
من احكام التلاوة	٤
بيان تعريف ال مصطلحات	٩
<u>الوحدة الاولى</u>	
الدرس الاول: من القرآن الكريم- من سورة البقرة (١٥٣-١٧٠)	١٠
الدرس الثاني: من قصص القرآن- اصحاب الكهف	٢٠
الدرس الثالث: من الحديث الشريف- التعاون بين المسلمين	٢٦
الدرس الرابع: أبحاث- نظام الاسره في الاسلام	٣١
الدرس الخامس: التهذيب- النهي عن الغضب	٤١
<u>الوحدة الثانيه</u>	
الدرس الاول: من القرآن الكريم- من سورة آل عمران (٩٠-٩٧)	٤٦
الدرس الثاني: من القصص القرآن- مريم بنت عمران (ع)	٥٠
الدرس الثالث: من الحديث الشريف- الناجون يوم القيامة	٥٨
الدرس الرابع: أبحاث- حقوق الزوجين وواجباتهما	٦٤
الدرس الخامس: التهذيب- قصص وعبر	٧٠
<u>الوحدة الثالثة</u>	
الدرس الاول: من القرآن الكريم- من سورة النساء (١-١٠)	٧٢
الدرس الثاني: من قصص القرآن- موسى والعبد الصالح (ع)	٧٩
الدرس الثالث: من الحديث الشريف- محاسبة النفس	٨٥
الدرس الرابع: أبحاث- نظره عام للنظام الاقتصادي في الاسلام	٨٨
الدرس الخامس: التهذيب- الرجولة	٩٧
<u>الوحدة الرابعة</u>	
الدرس الاول: من القرآن الكريم- الاسراء (٢٣-٣٩)	١٠٢
الدرس الثاني: من قصص القرآن- (شعيب) (ع)	١١٣
الدرس الثالث: من الحديث الشريف- في الجهاد وكرامة المجاهد	١٢٠
الدرس الرابع: أبحاث- الوظائف الاقتصادية للدولة	١٢٢
الدرس الخامس: التهذيب- التكبر	١٢٩
<u>الوحدة الخامسة</u>	
الدرس الاول- من القرآن الكريم- سورة الانبياء	١٣٢
الدرس الثاني- من قصص القرآن نبأ الفاسق	١٤١
الدرس الثالث- من الحديث الشريف حسن الخلق	١٤٣
الدرس الرابع- أبحاث- التسامح والتعايش السلمي	١٤٨
الدرس الخامس- التهذيب- القناعة	١٥٦